

دَيْرِ اسْنَاتِ تَارِ مَحْسَنَةٍ (1)
سُبْحَانَ اللَّهِ وَهُوَ الْبَاقِ



دار المقار الإسلامية الثقافية

الكتاب: دراسات تاريخية (1)

رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام

تأليف: الشيخ مصطفى قصير قدس سره

مراجعة وتنسيق: مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية

إصدار: دار المعارف الإسلامية الثقافية

الطبعة: الأولى - 2019م / 1440هـ

تصميم وطباعة: DB UH
009613336218

ISBN 978-614-467-???-?

books@almaaref.org.lb

00961 01 467 547

00961 76 960 347

دائرة مسائل تاريخية (1)

رسول الله وأهل البيت


الجزء الثالث عشر



دار الافتاء الإسلامية الثقافية




الفهرس

9.....  **الباب الأول: شذرات من حياة رسول الله**

11..... **الفصل الأول: المبعث النبوي الشريف**

13..... تمهيد


13..... بعثة النبي 


17..... العبادات والمستحبات في يوم المبعث

19..... **الفصل الثاني: شخصية الرسول  ودوره في حركة التغيير**

21..... تمهيد

22..... لماذا اختار الله -عزَّ وجلَّ- لتبليغ رسالاته أنبياء ولم يختَر فلاسفة؟

24..... ما هو المنهج التربوي للرسول ، وما هي قيم الرسالة؟

26..... مصادر علم الرسول 

29..... الصلاحيات الواسعة

29..... ما يمكن أن ندرسه في السيرة النبوية

30..... مستويات دراسة السيرة النبوية

33..... **الفصل الثالث: أخلاقيات الرسول **

35..... محبة الناس والحرص عليهم

36..... التواضع واللين

38..... أسلوبه في تربية الناس

41..... **الفصل الرابع: رسول الألفة والموودة**

والله وسيلكم

- | | |
|----|-------------------------------|
| 51 | الدعوة النبوية في مكة المكرمة |
| 53 | بعد الهجرة |
| 56 | حروب الرسول ﷺ وسراياه |
| 61 | ما بعد بدر الكبرى |
| 64 | دروس من معركة أُحُد |
| 65 | المشاورة والعزم |
| 68 | الطاعة والالتزام |
| 70 | دور المنافقين أعداء الداخل |

اللَّهُ
صَلَّى عَلَيْهِ
وَالْآلِ وَسَلَّمَ

73 وكيفيّة مواجهتها

- 75 تهديد
- 75 الأنبياء قدوة الناس
- 77 لماذا الإساءات المتكررة إذاً؟
- 79 مواجهة الحملات
- 80 نماذج أخلاقيات الرسول ﷺ

الفصل السابع: العلاقة بين النبي الأكرم ﷺ والإمام علي عليه السلام

85.....وانعكاساتها على الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي

- تمهيد 87
- العلاقة بين النبي الأكرم ﷺ والإمام علي عليه السلام في النصوص 87
- بركات هذه العلاقة الخاصة وثمراتها 91
- الباب الثاني: أهل البيت عليهم السلام** 93

95..... الفصل الأول: محاور خطبة السيِّدة الزهراء عليها السلام ودلالاتها

- 97 تمهید

98.....الأبعاد السّياسيّة للخطبة

100.....محاور الخطبة

107.....الفصل الثاني: السيّد الزهراء ع في ذكرى شهادتها

109.....تمهيد

110.....مكانة الزهراء ع

111.....الأجر والمودّ في القربى

115.....الاعتراض على البكاء

118.....مقاطعة فدّك

123.....الفصل الثالث: عاشوراء ومحاولات التشويه

125.....أهميّة ثورة الإمام الحسين ع

127.....البحوث التي ينبغي أن تدرس في عاشوراء

129.....عاشوراء في كتب أهل السنّة

129.....عاشوراء في اللّغة

130.....عاشوراء واليهود

135.....عاشوراء ومحاولات المسخ والتشويه

136.....الشكل الأوّل

143.....الشكل الثاني

146.....الشكل الثالث

155.....الشكل الرابع

158.....إقامة المآتم من المنظار الشرعيّ

163.....الفصل الرابع: ولاية العهد أهداف المأمون وحنكة الإمام الرضا ع

165.....أهم ملامح عصر المأمون

167.....دوافع المأمون لعقد ولاية العهد للإمام ع

168.....أسباب رفض الإمام ع لولاية العهد

171.....أساليب الإمام ع في إحباط مخطّط المأمون

172.....معنى الإمامة في كلمات الإمام الرضا ع

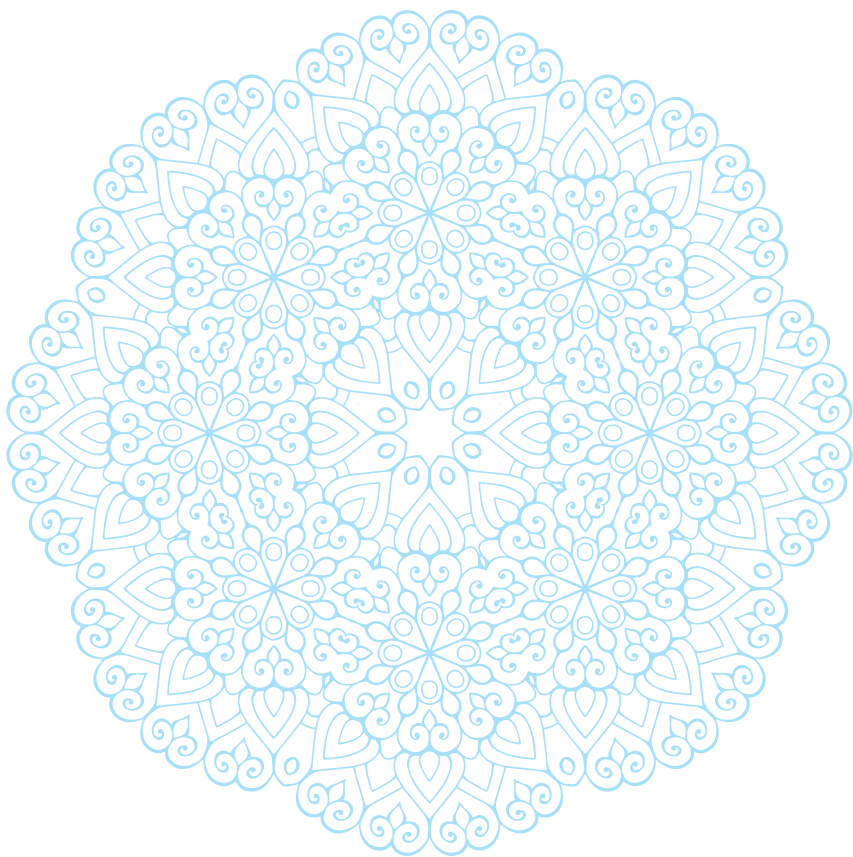
- 175.....**الفصل الخامس: من هم أصحاب رايات الضلال؟**
- 177.....منهجية قراءة علامات الظهور
- 178.....الرايات في عصر الغيبة
- 181.....قائمة المصادر والمراجع
- 181.....**قائمة المصادر والمراجع**



الباب الأول

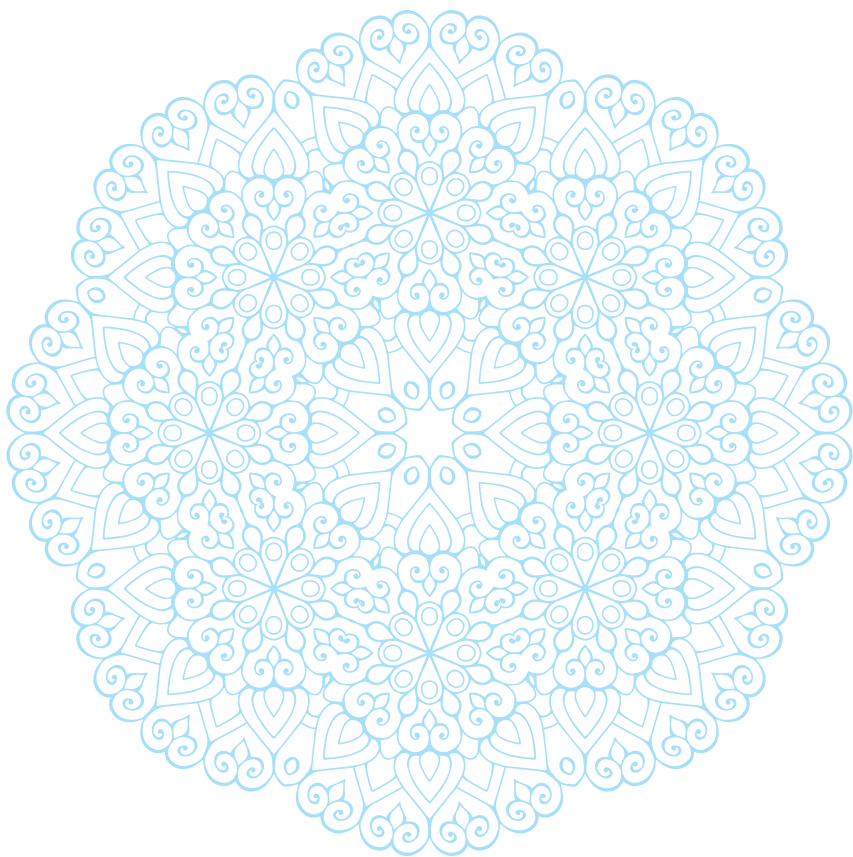


شذرات من حياة رسول الله



الفصل الأول

المبعث النبوي الشريف



تمهيد⁽¹⁾

قال -تعالى-: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾⁽²⁾.

بعثة النبي ﷺ

بُعِثَ رسول الله ﷺ بالرسالة الإسلامية بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وكان له من العمر آنذاك أربعون سنة على المشهور. ومن المعروف أنه ﷺ بقي مدة ثلاث سنوات لا يجهر بدعوته؛ ممّا أوقع بعض المؤرخين في الاشتباه في تاريخ بعثته وعمره المبارك عند البعثة، وحول عدد سنوات مكثه في مكة بين البعثة والهجرة. ومنشأ ذلك -على ما يبدو- هو إسقاطهم لسنوات الفترة السريّة بكاملها أحياناً أو بعضها، حيث يكون الراوي قد اطلع على خبر البعثة بعد عام أو عامين أو ثلاثة.

(1) مقالة نشرت في جريدة الانتقاد بتاريخ: 26\9\2003م.

(2) سورة آل عمران، الآية 164.



ومهما يكن، فإنَّ الثابت عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم أنَّه عليه السلام بُعثَ في السابع والعشرين من شهر رجب. وقد نصَّ العلامة المجلسيُّ على اتِّفاق الشيعة الإمامية على ذلك⁽¹⁾، ونقل روايات عدَّة عن الإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الهادي عليهم السلام تنصَّ على أنَّه عليه السلام بُعثَ في هذا اليوم⁽²⁾، وهو يدلُّ على عدم صحَّة غيره من الأقوال والآراء، والتي بُنيَت على اعتبارات غير سليمة.

فمن رأى أنَّه عليه السلام بُعثَ في ربيع الأوَّل، بنى ذلك على أنَّه بُعثَ بعد أن تمَّت له أربعون سنة. ولمَّا كانت ولادته المباركة في شهر ربيع الأوَّل، فينبغي أن تكون بعثته الشريفة كذلك في ربيع الأوَّل، إلَّا أنَّ الروايات التي حدَّدت تاريخ البعثة الشريفة في 27 رجب تنفي الاعتبار الظنِّي المذكور، وتدلُّ على أنَّ إتمام الأربعين مبنيَّ على التسامح بالأشهر زيادةً أو نقصاناً.

ومن رأى أنَّه عليه السلام بُعثَ في شهر رمضان المبارك، بنى ذلك على الدعوى القائلة إنَّه عليه السلام إنَّما بُعثَ بالقرآن؛ أي أنَّ بعثته الشريفة جاءت ملازمة لنزول القرآن عليه، ولمَّا كان القرآن الكريم قد نزل في شهر رمضان، فيلزم منه وقوع البعثة النبويَّة الشريفة في شهر رمضان أيضاً.

- (1) المجلسي، العلامة محمَّد باقر بن محمَّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403 هـ - 1983 م، ط 2، ج 18، ص 190.
- (2) راجع: الطوسي، الشيخ محمَّد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، 1364 ش، ط 3، ج 4، ص 305؛ الطوسي، الشيخ محمَّد بن الحسن، مصباح المتجذِّد وسلاح المتعبد، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان - بيروت، 1411 هـ - 1991 م، ط 1، ص 820.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾⁽¹⁾.

إلا أن الأساس الذي بُني عليه هذا الرأي غير سليم؛ لأن ما ورد عن أهل البيت عليه السلام بسند صحيح من أنه عليه السلام بُعث في رجب يفرض علينا التفكيك بين البعثة ونزول القرآن زماناً، ويفرض تأخر نزول القرآن عن البعثة الشريفة بلا شك، وليس في ذلك أيّ محذور؛ لأن النبوة لا تتوقف على نزول الكتاب، كما لم تتوقف على نزوله نبوات الأنبياء السابقين، حيث أنزلت التوراة بعد بعثة موسى عليه السلام بزمان، عندما ذهب إلى ميقات ربّه، وأنزلت عليه الألواح.

أما الرواية التي تصف بدء الوحي، وأنّ جبرائيل جاء بالآيات الخمسة الأولى من سورة (اقرأ)، في أول نزول له على النبيّ محمد عليه السلام، هذه الرواية غير مقبولة، بل غير صحيحة، وفيها الكثير من الثغرات الموهنة لها، أهمّها أنّها تفرض عدم حصول اليقين عند رسول الله عليه السلام بنبوة نفسه، وبأنّ ما جاءه من الوحي كان وحياً، وأنّ من كلمه هو جبرائيل، حتّى أكّد له ذلك ورقة بن نوفل الراهب⁽²⁾، وهو ما لا يمكننا قبوله؛ لأنّ الله -تعالى- لا يبعث رسولاً حتّى يعدّه ويصنعه على عينه، ويُنزل عليه السكينة، ويكشف له الغطاء، فيكون الذي يأتيه من الوحي كالذي يراه بعينه. ولا يصحّ

(1) سورة البقرة، الآية 185.

(2) أحمد بن حنبل، المسند (مسند أحمد)، دار صادر، لبنان - بيروت، لات، لا ط، ج 1، ص 312؛ ج 3، ص 392، وغيره الكثير من المصادر.



أن يقع النبي نفسه في الشك فيما يأتيه -كما تُصوّر الرواية- بينما يُؤمر الناس بالتصديق به وتحصيل اليقين الذي لم يحصل للنبي الذي شاهد بنفسه وسمع بأذنه، وهو محال، بل الصحيح أنه ﷺ كان مستعداً لتلقي الوحي ومنتظراً له، فهو لسنوات عدّة قبل بعثته كان يرى الرؤيا فتأتي كفلق الصبح - كما ورد في الرواية-⁽¹⁾، وكان يأتيه جبرائيل فيناديه: يا رسول الله، فيسمع صوته دون أن يرى صورته، وكان يسمع هذا النداء بشكل مكرّر من أكثر من جهة ومصدر. هذا مضافاً إلى التكامل العقلي والروحي الذي يجعله في أقرب حالاته من الملكوت، وبالتالي لا يفاجئه الوحي، ولا يُصاب بالاضطراب والفرق، بل يزداد يقيناً وإيماناً⁽²⁾.

في النتيجة، ينبغي أن يُتخذ السابع والعشرون من رجب يوم عيد للمسلمين؛ لأنّ البعثة النبوية الشريفة تعني إشراقة عصر جديد ونور جديد سوف يملأ الدنيا. وما نعيشه اليوم من بركات الرسالة والنعمة الإلهية الكبرى يعتمد على ما حصل في ذلك اليوم.

(1) ابن هشام الحميري، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق وضبط وتعليق: محمد معي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر - القاهرة، 1963، لا ط، ج 1، ص 153.

(2) راجع: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار النهضة، الناشر: دار الذخائر، قم، إيران، 1412هـ، ط 1، الخطبة القاصعة رقم 192، ص 137؛ قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله، قصص الأنبياء، تحقيق: الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، مؤسسة الهادي، قم، إيران، 1418هـ، ط 1، ص 318، الشيخ الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، 1417هـ، ط 1، ص 36، ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن محمد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربية، 1959، ط 1، ج 13، ص 207.

العبادات والمستحبات في يوم المبعث

ورد التأكيد على استحباب الصيام في هذا اليوم، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تدع صيام يوم سبعة وعشرين من رجب، فإنه اليوم الذي نزلت فيه النبوة على محمد ﷺ، وثوابه مثل ستين شهراً لكم»⁽¹⁾.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «بعث الله -عز وجل- محمداً رحمة للعالمين في سبع وعشرين من رجب، فمن صام ذلك اليوم كتب الله له صيام ستين شهراً»⁽²⁾.

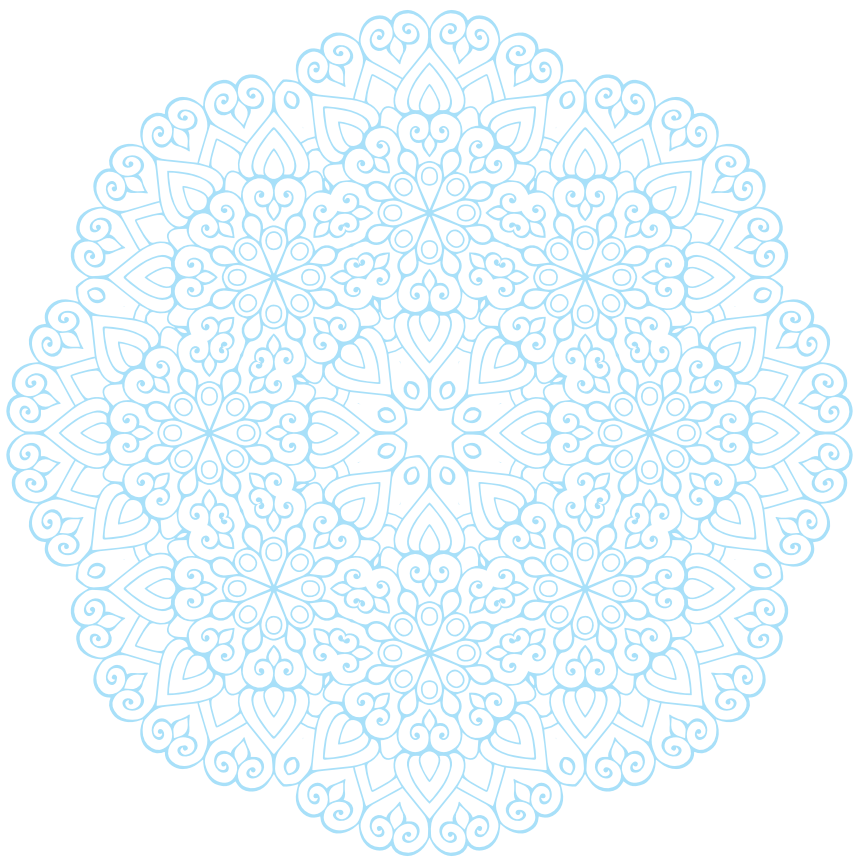
الأدعية والصلوات والأعمال المستحبة ليلة المبعث ويومه كثيرة، ذكرها السيد ابن طاووس في كتاب الإقبال⁽³⁾، ومن أبرزها زيارة الرسول الأكرم ﷺ وزيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. وفي الزيارة اعتراف وإقرار بالنعمة العظيمة التي أنعمها الله -تعالى- بالاهتداء إلى الإسلام، والمنة التي منّا الله على المؤمنين؛ إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم؛ وأما زيارة علي عليه السلام؛ فلأنه باب مدينة علم رسول الله ﷺ⁽⁴⁾؛ ولأنه تحمّل مع رسول الله ﷺ، وعانى معه في سبيل نشر دين الله -تعالى- وتبليغ رسالاته، وإقامة حكومة العدل التي هي من أعظم النعم الإلهية؛ فينبغي أن نعطي هذا اليوم حقه من الاهتمام.

(1) الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدر، طهران، 1365 هـ، ج 4، ص 148.

(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 4، ص 149.

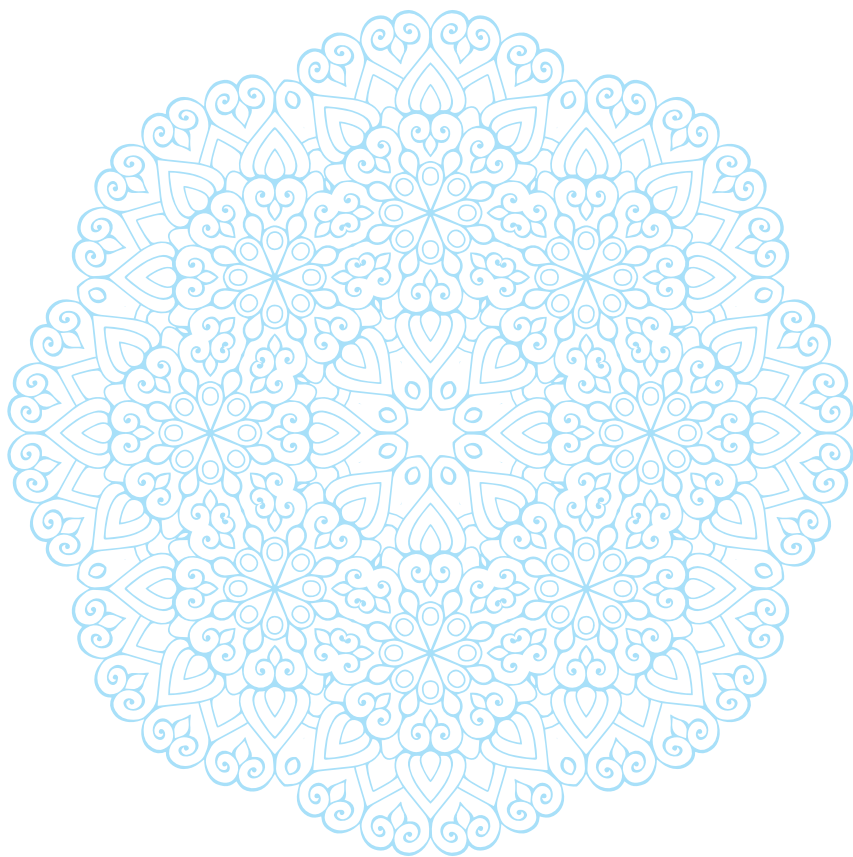
(3) ابن طاووس، السيد علي بن موسى، إقبال الأعمال، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، 1414 هـ، ج 1، ص 670-679.

(4) الصدوق، الشيخ محمد بن علي، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران - قم، 1417 هـ، ج 1، ص 425.



الفصل الثاني

شخصية الرسول ﷺ ودوره في حركة التغيير



تمهيد

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾⁽¹⁾.

من أعظم النعم الإلهية على الإنسان نعمة الهداية والتوفيق لمعرفته، وفتح الطريق أمامه للسمو والارتقاء في مدارج الكمالات الروحية والملكويتية للوصول إلى درجة المقرّبين منه، فهذه النعمة يسود الإنسان على المخلوقات كافة، وبها أسجد الله ملائكته لأبي البشرية آدم عليه السلام.

وقد بعث الله الرسل والأنبياء عليهم السلام وأنزل معهم الكتب والشرائع في إطار هذه النعمة العظيمة، والآية القرآنية المتقدّمة تشير إلى هذا المعنى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾.

(1) سورة آل عمران، الآية 164.

لماذا اختار الله - عز وجل - لتبليغ رسالاته أنبياء ولم يختَر فلاسفة؟⁽¹⁾

يمكن القول في مقام الجواب إنه أنزل الأنبياء؛ لأنه أراد أن يبعث للناس هداة ومربين ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾⁽²⁾، فوظيفة النبي تتجاوز التبليغ والإيصال، فهذه الوظيفة إنما تحقق هدفها بمجرد البعثة؛ باعتبار أنه الحجة على الخلق، ولكن ثمة وظيفة أخرى، وهي التزكية والتطهير والتعليم، فالنبي يتولى مهمة التغيير، مهمة تربية الإنسان، ومهمة التعليم التي تتضمن الإيصال إلى حقيقة الكتاب، وهي الحكمة.

ومما لا شك فيه، أن المعلم لا بد من أن يكون عالمًا، إلا أن العالم لا يمكن له أن يتحول إلى معلم ما لم يمتلك مهارات وقدرات إضافية تمكنه من نقل علمه ومعرفته إلى الآخرين، وتمكنه من توفير الاستعدادات عند المتعلمين، ومن إعادة صياغة البنية الفكرية عندهم، ومن تغيير مواقفهم واتجاهاتهم السلوكية نحو الهدف الذي يحدده. وإذا ذهبنا إلى التربية والتزكية والتأثير الروحي فالمسألة أوضح، والقاعدة الفلسفية تقول: إن فاقد الشيء لا يعطيه.

وعليه، فلا يمكن للجاهل أن يكون معلمًا، ولا يمكن للفساد أن يكون مُصلحاً وإن وُصفَ الصلاح ليل نهار، ولا يمكن للمنحرف أن

(1) أورد سماحته هذه الفقرة في بحث آخر عن النبي ﷺ، ولم نحذفها لكي لا يحدث خلل في سياق البحث، راجع الفصل السادس.

(2) سورة الجمعة، الآية 2.

يتولّى مهمّة تقويم الآخرين، ولا يمكن لِمَنْ يفتقد الطهارة أن يقوم بتركية الناس وتطهير نفوسهم.

من هنا ندرك سرّ اختيار الأنبياء، وعلى أيّ أساس يتمّ ذلك، فلا يختار الله النبيّ لأنّه ابن نبيّ ما لم تكن هذه النبوة عاملاً مؤثّراً في صناعة النبيّ الابن، فهو يختار لرسالاته أفضل أهل زمانهم، وأكملهم عقلاً، وأطهرهم نفساً، وأبعدهم عن الهوى، وأقربهم إلى التقوى، وأكثرهم قوّة في مقاومة الشيطان والنفس الأمارة بالسوء؛ ويعبّر علماؤنا عن ذلك بقولهم: «الذين عصموا أنفسهم عن الذنوب والمعاصي، فعصمهم الله وأعانهم وسدّدهم».

إنّ الله -تعالى- لا يأمر الناس بسلوك طريق قبل أن يبعث فيهم من يسلّك بهم ذلك الطريق؛ ليقصدوا به ويتأسّوا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁽¹⁾.

وينبّه أمير المؤمنين عليه السلام المسلمين إلى ذلك فيقول: «والله ما أمرتكم بطاعة إلّا وقد ائتمرت بها، ولا نهيتكم عن معصية إلّا وقد انتهيت عنها»⁽²⁾. فالرسول المبعوث يجسّد الرسالة بكلّ دقّة قبل دعوة الناس إلى ذلك، فهو يجسّد أخلاق الرسالة وقيّمها، ويُقدّم أنموذجاً حيّاً كاملاً للإنسان الذي تريده الرسالة في فكره وسلوكه ومشاعره وعبادته وحكمته وتدييره وسجاياه الأخلاقية...

(1) سورة الأحزاب، الآية 21.

(2) المشهدي، الشيخ محمّد بن محمّد رضا القميّ، تفسير كثر الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق: حسين درگاهي، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، 1407هـ - 1366هـ ش، ط 1، ج 3، ص 195.



ما هو المنهج التربوي للرسول ﷺ، وما هي قيم الرسالة؟

لا بدّ من الإلفات قبل الإجابة عن هذا السؤال إلى واقع المجتمع الذي بُعث فيه الرسول ﷺ:

وصف القرآن الكريم مجتمع الجزيرة العربيّة بمجتمع الجاهليّة: حكم الجاهليّة⁽¹⁾، وظنّ الجاهليّة⁽²⁾، وتبرّج الجاهليّة⁽³⁾، وحميّة الجاهليّة⁽⁴⁾.

والجاهليّة صفة تُشير إلى السلوك والقيم السائدة المبنية على الجهل. ومن بلاءات هذا المجتمع أنّه كان مجتمع الشّرك وعبادة الأصنام، كان مجتمعاً قَبليّاً تحكمه العصببيّات والغزو والقتل، ولا يأمن فيه أحد على ماله أو عرضه أو نفسه، وكان مجتمعاً لا يُلقي أبناؤه سيوفهم عن عواتقهم، دأب شعرائهم التهاجي، ودأب نساءهم التبرّج، ودأب رجالهم وأد البنات؛ لئلاّ يلحقهم العار إذا ما غزوا وانتهكت النساء.

وما يتحدّثون به عن كرم العرب وسماحتهم وغير ذلك، ففيه كثير من المبالغة، فقد كان العربيّ يندفع إلى بعض القيم كي يدفع عن نفسه العار ولا يتعرّض للهجاء. وإن سلّمنا بوجود تلك القيم، فهي تشكّل نقطة مضيئة في بحر الظلام الذي يلفّ المجتمع الجاهليّ.

(1) سورة المائدة، الآية 50: ﴿أَفَكُفِّرُوا بِلِأْسِهِمْ جَاهِلِيَّةً يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ﴾.

(2) سورة آل عمران، الآية 154: ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

(3) سورة الأحزاب، الآية 33: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

(4) سورة الفتح، الآية 26: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

قام رسول الله ﷺ بإعادة بناء المنظومة الفكرية، فحوّله إلى مجتمع التوحيد، وقضى على الشرك، وشكّل منظومة القيم والأخلاق الدينية، وأسقط قيم الجاهلية وأخلاقها، وربط المجتمع بالمنظومة الحقوقية والعبادية والروحية والاجتماعية للإسلام.

وأبرز ما تضمّنه مشروع الرسالة النبوية من قيم تربوية:

1. بناء قيم التوحيد والعبودية لله: هذا الأصل يؤسّس قاعدة لصياغة نظرة الإنسان تجاه الكثير من القيم الأخرى؛ فالحرية التي تبني على التوحيد والعبودية لله تختلف عن الحرية المبنية على رؤية إلحادية، في حدودها وأبعادها وفلسفتها.

كما تصوغ نظرة الإسلام تجاه الموجودات أيضاً، فهل هي موجودات تقع في دائرة الصراع والتنافس مع الإنسان، أم أنّها موجودات مخلوقة لله -عزّ وجلّ-، لحكمة وأغراض على الإنسان أن يُراعِيها في التعامل معها؟ ولعلّ أغلب الحقوق والواجبات تتأثر بهذا الأصل.

2. نظرة الإسلام تجاه الإنسان (قيمة الإنسان) وتتفرّع عليها نظراته تجاه المرأة والطفل والعامل والعجزة.

3. بناء الروابط الاجتماعية، وتمييز الرابطة القائمة على أساس الإيمان، ومنحها الأولوية، وإعطائها طابع الأخوة والولاية، وعدم إلغاء روابط القرابة والنسب والانتماء الوطني، ولكن بما لا يتعارض مع رابطة الإيمان.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ⁽¹⁾.

﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ^(٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(٩)﴾ ⁽²⁾.

مصادر علم الرسول ﷺ

لعلم الرسول ﷺ مصدران، هما:

الأول: ما خصّه الله به من وحي أنزله على قلبه بشكل مباشر منه -تعالى-، أو بواسطة ملك الوحي جبرائيل، أو بالإلهام والإلقاء في النفس. وهو علم النبوة الذي لا يمكن للناس الوصول إليه إلا بالرجوع إلى الرسول ﷺ.

الثاني: مشترك مع باقي البشر، يستبقون للوصول إليه، ويتميّز فيه الرسول من غيره من البشر بدرجة الكمال والعصمة والطهارة، وامتلاك الوعاء الأوسع والأهليّة الأكبر للتلقّي؛ ممّا يمنحه مساحة من العلم والمعرفة تكاد تصبح خاصّة به، ولكنها ليست حكراً بالأصالة ولا محجوبة عن غير الرسل، بل يصلون إليها بالسبق والتقدّم.

(1) سورة المجادلة، الآية 22.

(2) سورة الممتحنة، الآيات 8-9.

وثمة تفاوت كبير بين الناس في أوعية العلم لديهم، وفي القدرة على التلقي والاستيعاب. يشير عليّ عليه السلام إلى هذه الأوعية بقوله: «هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ، لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً، بَلَى أَصَبْتُ لِقِنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ... كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَمُوتِ حَامِلِيهِ»⁽¹⁾.

ووعاء العلم وإن كان يتسع بالعلم، إلا أنّ أصل الاستيعاب والقدرة على التلقي يرتبط بشكل كبير بنقاء النفس وطهارتها من الأدناس التي تُفسد القلب وتُضعف البصيرة حتّى تعممها؛ ممّا يعني أنّ الارتباط وثيق بين التعلّم والتربية وبين العلم والعمل.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت، حتّى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً»⁽²⁾.

وإذا أُتحت مصادر العلم النقيّة، والأوعية القادرة على التلقي والاستيعاب، جاء دور البحث عن الوسائل والأدوات، وهي متنوّعة وكثيرة وقابلة للتطوّر.

النقطة الثانية: لكي يتحوّل العالم إلى معلّم، يحتاج إلى مهارات وقدرات إضافية تُمكنه من نقل علومه ومعارفه إلى الآخرين. وتدوين العلم لا يكفي في هذا المجال، فللتدوين شروطه وأساليبه؛ ولذا

(1) الرضي، السيّد أبو الحسن محمّد الرضيّ بن الحسن الموسويّ، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، شرح الشيخ محمّد عبده، دار الذخائر، إيران - قم، 1412 هـ - 1370 ش، ط1، ج4، ص36.

(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص271.



كان التعليم مهارة خاصّة تُكتسب. ولعلّ أهمّ ما ينبغي للمعلّم أن يعمل عليه هو التحوّل إلى قدوة، فالمعلّم قدوة المتعلّم؛ في أخلاقه وسجاياه ومواقفه، وهو مثال يجسّد ما يحمله من مبادئ وعلوم وقيم. ودور المعلّم القدوة أكثر تأثيراً وفعاليّة؛ لأنّه يصعب على المتعلّم أن يفكّك بين القول والقائل، بين العلم والمعلّم، فهو يرى في سلوك معلّمه وفي صدق أفعاله ومواقفه، وفي الانسجام بين قوله وعمله، دليلاً وجدانيّاً على واقعيّة المضمون وصحّة المعنى. فمن المخاطر التي تهدّد دور المعلّم في الصميم أن يصبح طبيباً يداوي الناس وهو عليل؛ ولذلك دعا أئمّتنا إلى اعتماد أسلوب التأثير بالقدوة، حيث ورد عنهم «كونوا دُعاة الناس بغير ألسنتكم»⁽¹⁾، و«كانوا دُعاة إلينا بأعمالهم ومجهود طاقتهم»⁽²⁾.

وهذا هو السرّ في بعثة الأنبياء الذين اختارهم الله -تعالى-؛ لأنّهم كانوا يُمثّلون القدوة والمثال، فهم أكمل الناس عقولاً، وأطهرهم نفوساً، وأقومهم مسلّكاً، وأصدقهم لساناً، وأصوبهم فعلاً، وأكرمهم أخلاقاً، وأكثرهم ثباتاً واستقامة. ولا يدعون الناس إلى خير إلّا ويسبقونهم إليه، ولا يأمرّونهم بمعروف إلّا ويجسّدونه بفعلهم قبل قولهم.

(1) الطبرسي، الشيخ عليّ، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، 1418، ط1، ص96.

(2) ابن شعبة الحرّانيّ، الحسن بن عليّ، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة، إيران - قم، 1404هـ - 1363ش، ط2، ص301.

هذا الأمر هو الذي منحهم الأهلية لقيادة حركات التغيير والإصلاح التي كانت دائماً هدفاً أساسياً للرسالات السماوية.

الصلاحيات الواسعة

﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾⁽¹⁾.

هذه الصلاحيات الواسعة الواردة في الآية لم تأتِ تكريماً وتمييزاً للرسول ﷺ، وإنما جاءت نتيجة حرصه على المؤمنين أكثر من حرصهم على أنفسهم، وهو ما تشير إليه جملة من الآيات وعدد من الروايات.

ما يمكن أن ندرسه في السيرة النبوية

يمكن لنا في السيرة النبوية أن ندرس الآتي:

1. طريقته ﷺ في الدعوة إلى الله، تعرضه للحجاج، إسماعهم القرآن بشكلٍ عرَضِيٍّ وغير مباشر، التلطّف والصبر والتحمّل، اعتماد الأسلوب العمليّ وتقديم الأسوة الحسنة.
2. طريقته في معالجة أوضاع المجتمع المدنيّ، وبناء القاعدة الصلبة، وتغيير القواعد الحاكمة.

(1) سورة الأحزاب، الآية 6.



3. طريقته في إظهار قيمة المرأة، وإبراز البعد الإنساني لها، الزهراء نموذجاً (احترامها - تقديرها - القيام لها - إظهار مكانتها...).
 4. طريقته في إدارة الصراع مع المشركين، وربط الصراع بأهداف الرسالة فحسب.
 5. طريقته في نظم العلاقات مع أهل الكتاب الذين يشاركونه في المواطنة، وفق أصول حفظ الحق والعدالة والأمن الاجتماعي.
 6. طريقته في تأليف القلوب والتأثير على ضعفاء النفوس، واستجلاب ودّ غير المسلمين.
 7. طريقته في إرساء بعض العادات والتشريعات (السلوك العملي، زواجه من زينب مثلاً).
 8. طريقته في إشراك الجميع في تحمّل المسؤولية، وتحقيق الإنجازات والأعمال العامّة.
- إنّ دراسة السيرة النبوية تهدف بالدرجة الأولى إلى استخلاص المواقف والعبر كمقدّمة لتحويل واقعنا الاجتماعيّ إلى ما يمثّل تلك السيرة ويجسّدُها عملياً؛ لأنّ سيرته المتضمّنة لفعله وتقديره، فضلاً عن قوله، هي سنّة نبويّة تشكّل مصدراً من مصادر التشريع، ومرجعيّة في معرفة مكارم الأخلاق التي بُعث بها.

مستويات دراسة السيرة النبوية

المستوى الأول: تحقيق السيرة واستخراج الصحيح منها، وتهديتها ممّا دُسّ فيها وألصق بها لأغراض خبيثة غير خافية، وهي

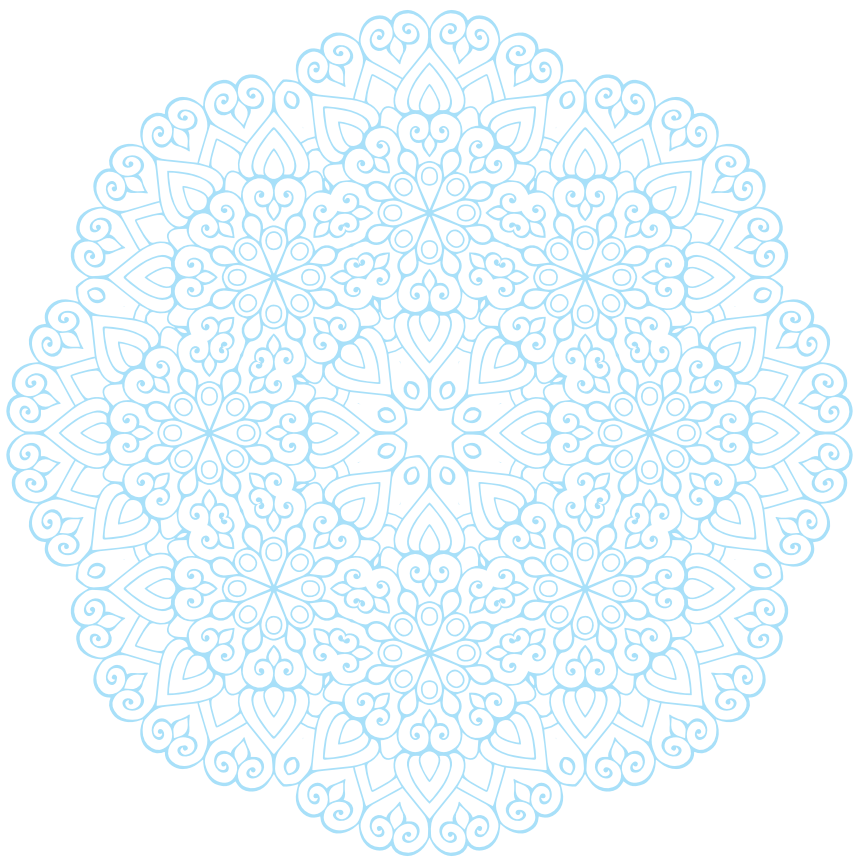
مرحلة ضرورية تسبق قراءة المضمون واستخلاص الدروس، وهي مهمة تُنَاط عادةً بمراكز الدراسات والمتخصِّصين في التحقيق ونقد التاريخ.

المستوى الثاني: تقديم السيرة النبوية للمتعلِّمين من الناشئة بأسلوب العرض المناسب، وهي مرحلة تُبنى على نتائج المستوى الأول.

المستوى الثالث: تحليل السيرة واستنباط الأهداف والغايات والدوافع ووجوه الحكمة في كلّ موقف وفي كلّ حلقة من حلقات السيرة، كمرحلة ضرورية للتأسي والافتداء برسول الله ﷺ؛ لأنّه ليس بالإمكان أخذ الموقف النبويّ منسلخاً عن ظروفه وحكمته ودوافعه وأهدافه، فلقد كان موقف رسول الله ﷺ في ظرفٍ، مغايراً لموقفه في ظرف آخر. ولذا، لا بدّ من ربط الموقف بالحيثيات التي لها علاقة باتّخاذه كجزء من عملية التأسي؛ كي لا نقع في محذور الجمود على الظاهر والشكل، ونحن نعلم بأنّ الارتباط بين الظاهر والباطن وثيق، ووراء كلّ سلوكٍ دافع، ووراء كلّ موقف هدف.

عندئذٍ يمكننا أن ننطلق في تحويل السيرة الشريفة إلى منهج فكريّ وعمليّ يناسب العصر وكلّ العصور.

المستوى الرابع: وضع نظرية تربوية عامّة مستنبطة من سيرة رسول الله ﷺ؛ لأنّ المنهجية التي يختارها المعصوم لا شكّ في أنّها الأنسب والأصلح والأولى.



الفصل الثالث



أخلاقيات الرسول ﷺ



محبة الناس والحرص عليهم

قال -تعالى:- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾⁽¹⁾.

وخاطب رسوله قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾.

وقال له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾⁽³⁾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَخْعٌ ۖ تَفْسَكُ عَلَىٰ عَٰثِرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾⁽⁴⁾.

﴿لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي صَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة التوبة، الآية 128.

(2) سورة القلم، الآية 4.

(3) سورة آل عمران، الآية 159.

(4) سورة الكهف، الآية 6.

(5) سورة الشعراء، الآية 3.

(6) سورة النمل، الآية 70.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾⁽¹⁾.

ومع ما تقدّم كلّه، يوصيه المولى -عزّ وجلّ- بالمؤمنين، فيقول له: ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾.

التواضع واللين

عن الإمام الرضا عن أبيه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: أتاني ملك فقال: يا محمد، إن ربك يُقرئك السلام ويقول: إن شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهباً. قال: فرفعت رأسي إلى السماء وقلت: يا ربّ، أشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك»⁽³⁾.

عن جابر عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يأكل أكل العبد ويجلس جلسة العبد وكان يأكل على الحضيض وينام على الحضيض»⁽⁴⁾.

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يَفْسِمُ لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسّوية. قال: ولم يبسط رسول الله ﷺ رجله بين أصحابه قط، وإن كان

(1) سورة فاطر، الآية 8.

(2) سورة الشعراء، الآية 215، (واخفّض جناحك: ألن جانبك).

(3) المفيد، الشيخ محمد بن محمد، الأمالي، تحقيق: حسين الأستاذ ولي، علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1414 - 1993م، ط2، ص124.

(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج6، ص271.

لِيَصَافِحَهُ الرَّجُلُ فَمَا يَتْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدُهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ التَّارِكُ، فَلَمَّا فَطَنُوا لَذَلِكَ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا صَافِحَهُ قَالَ بِيَدِهِ فَتَزَعَمَهَا مِنْ يَدِهِ»⁽¹⁾.

عَنِ الْعِيصِ بْنِ الْقَاسِمِ، قَالَ: قُلْتُ لِلصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ: حَدِيثٌ يَرَوِي عَنْ أَبِيكَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَبْزٍ بَرِّ قَطٍّ، أَهُوَ صَحِيحٌ؟ فَقَالَ: لَا، مَا أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبْزَ بَرِّ قَطٍّ، وَلَا شَبِعَ مِنْ خَبْزِ شَعِيرٍ قَطٍّ»⁽²⁾.

وَعَنِ الْإِمَامِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يُوَرِّثْ دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا وَلَا وَلِيدَةً، وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيرًا، وَلَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ دَرْعَهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ بَعِشْرِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، اسْتَسْلَفَهَا نَفَقَةً لِأَهْلِهِ»⁽³⁾.

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَمْسٌ لَسْتُ بَتَارِكُهُنَّ حَتَّى الْمَمَاتِ: لِبَاسِ الصَّوْفِ، وَرُكُوبِي الْحِمَارِ مُؤَكَّفًا، وَأَكْلِي مَعَ الْعَبِيدِ، وَخَصْفِي النَّعْلِ بِيَدِي، وَتَسْلِيمِي عَلَى الصَّبَّيَّانِ؛ لَتَكُونَ سَنَةٌ مِنْ بَعْدِي»⁽⁴⁾.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص671.

(2) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص398.

(3) الحميري القي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، إيران - قم، 1413هـ، ط1، 91-92.

(4) الصدوق، الشيخ محمد بن علي، الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1403هـ - 1362ش، لا ط، ص272.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كان فراشُ رسول الله صلى الله عليه وآله عباءةً، وكانت مِرْفَقَتُهُ أَدَمَ حَشْوُهَا لَيْفٌ...»⁽¹⁾.

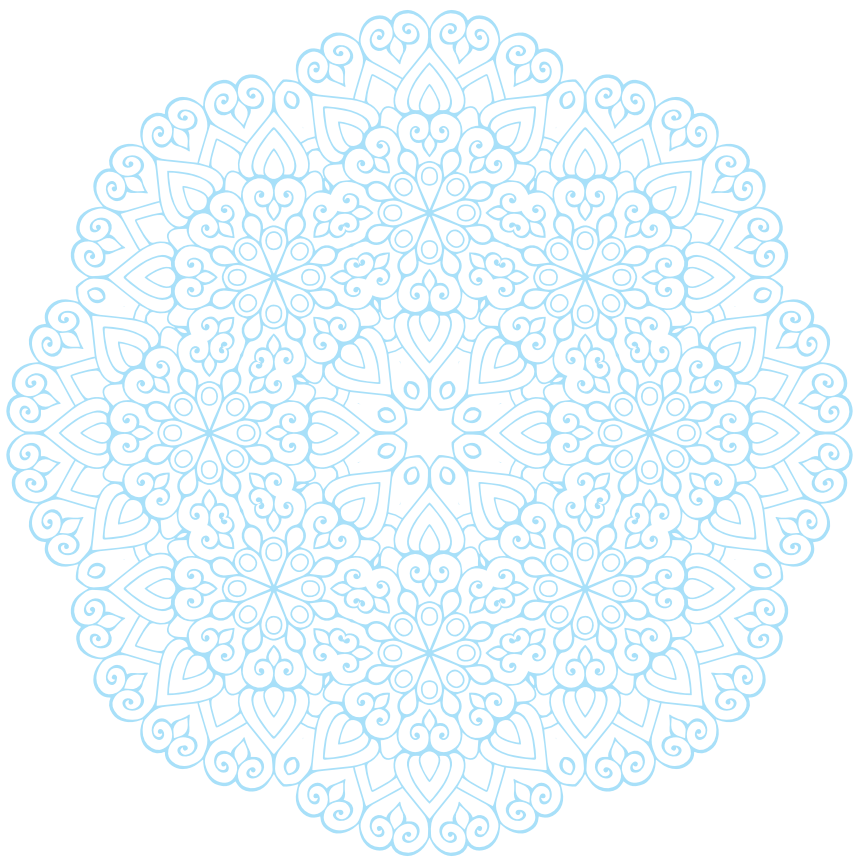
أسلوبه في تربية الناس

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ يَهُودِيًّا كَانَ لَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله دنانير فتقاضاهُ، فقال له: يا يهودي، ما عِنْدِي ما أُعْطِيكَ، فقال: فَإِنِّي لَا أَفَارُقُكَ، يا مُحَمَّدَ، حَتَّى تَقْضِيَنِي، فقال: إِذَا، أَجْلِسْ مَعَكَ، فَجَلَسَ مَعَهُ حَتَّى صَلَّى فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ وَالْغَدَاةَ، وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَتَمَدَّدُونَهُ وَيَتَوَاعَدُونَهُ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا الَّذِي تَصْنَعُونَ بِهِ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَهُودِيٌّ يَحْبِسُكَ! فَقَالَ صلى الله عليه وآله: لَمْ يَبْعَثْنِي رَبِّي -عَزَّ وَجَلَّ- بِأَنْ أَظْلِمَ مُعَاهِدًا وَلَا غَيْرَهُ، فَلَمَّا عَلَا النَّهَارُ قَالَ الْيَهُودِيُّ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَشَطْرَ مَالِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَمَّا وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ بِكَ الَّذِي فَعَلْتُ إِلَّا لِأَنْظُرَ إِلَى نَعْتِكَ فِي التَّوْرَةِ، فَإِنِّي قَرَأْتُ نَعْتَكَ فِي التَّوْرَةِ: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجِرُهُ بِطَيْبَةَ، وَلَيْسَ بِفَقْرٍ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ وَلَا مُتَرَيِّنٍ بِالْفُحْشِ وَلَا قَوْلِ الْخَنَاءِ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَهَذَا مَالِي فَاحْكُمْ فِيهِ بِمَا أُنْزَلَ اللَّهُ، وَكَانَ الْيَهُودِيُّ كَثِيرَ الْمَالِ»⁽²⁾.

(1) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص 552.

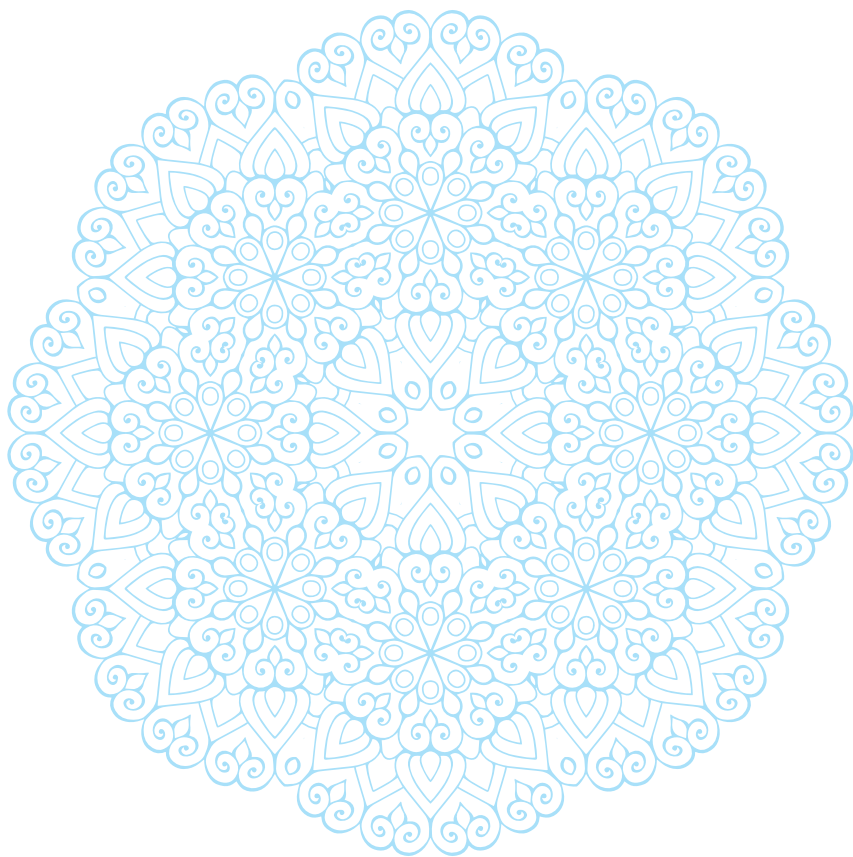
(2) المصدر نفسه، ص 551.

عن الإمام الباقر عليه السلام قَالَ: «جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَائِلٌ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ مِنْ أَحَدٍ عِنْدَهُ سَلَفٌ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي الْجَبَلِيِّ فَقَالَ: عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَعْطِ هَذَا السَّائِلَ أَرْبَعَةَ أَوْسَاقٍ تَمْرٍ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ بَعْدُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ لَهُ: يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ الثَّالِثَةُ فَقَالَ: يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ: قَدْ أَكْثَرْتَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ قَوْلٍ: يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: هَلْ مِنْ رَجُلٍ عِنْدَهُ سَلَفٌ؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَكَمْ عِنْدَكَ؟ قَالَ: مَا شِئْتُ، قَالَ: فَأَعْطِ هَذَا ثَمَانِيَةَ أَوْسُقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: إِنَّمَا لِي أَرْبَعَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَرْبَعَةٌ أَيْضًا»⁽¹⁾.



الفصل الرابع

رسول الألفة والمودة



قال -تعالى:- ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾.

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽²⁾.

وقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً»⁽³⁾.

من هذه النصوص وغيرها يتبيّن أنّ الإسلام دين الوحدة والألفة والمودة، والاجتماع والتكاتف، الإسلام دينٌ أساسه كلمة التوحيد، والإخلاص، والناس كلّهم عباد الله، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾⁽⁴⁾.

تُجسّد العبادات الإسلامية والأحكام الشرعيّة هذا المنهج، وتُكرّس هذا الاتجاه؛ فصلاة الجماعة مثلاً، عبادة يومية تربي على الاتحاد والتألف، وهي تظاهرة وحدويّة خلف إمام واحد، في اتجاه واحد، نحو هدف واحد، هو طاعة الله وامتنال أمره وأداء فرضه.

(1) سورة الأنبياء، الآية 92.

(2) سورة الأنفال، الآية 46.

(3) ابن حنبل، مسند أحمد، مصدر سابق، ج 4، ص 404.

(4) سورة الحجرات، الآية 13.



وصلاة الجمعة مظهر من مظاهر الاتحاد والاجتماع، والأعياد الإسلامية أيضاً تظاهرة اتحاد وتآلف بين المسلمين، فعن الإمام الرضا عليه السلام وقد سُئل عن علّة جعل عيد الفطر عيداً، قال: «لأنّ يكون للمسلمين مجّمعاً يجتمعون فيه، ويبرزون إلى الله -عزّ وجلّ-، فيحمدونه على ما منّ عليهم، فيكون يوم عيد، ويوم اجتماع، ويوم فطر، ويوم زكاة، ويوم رغبة ويوم تضرّع»⁽¹⁾.

ولعلّ الحجّ من أبرز المظاهر العباديّة التي يتجلّى فيها الجانب الوجدانيّ، إذ إنّّه أعظم تجمّع للمسلمين على اختلاف لغاتهم وألوانهم وأجناسهم وأحوالهم، لم يُوحّدهم سوى الإسلام، ولم يجمع بينهم إلّا التقوى.

هذه العبادات اليوميّة والموسميّة وغيرها من العبادات والأحكام الأخرى تكشف اهتمام الشريعة المقدّسة ببناء مجتمع متّحد متعاون متكافل، كالجسد الواحد، وكالبنيان المرصوص.

ولقد أكّد الرسول ﷺ أهميّة الألفة والاتحاد منذ اللحظات الأولى لدخول المدينة المنوّرة، ونقّذ ذلك عملياً في حركة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبين الأنصار أنفسهم، وبين المهاجرين أنفسهم، فقد كان المجتمع الإسلاميّ -آنذاك- في مستهلّ تشكيله، وهو مُقبل على امتحان عسير، تفرضه طبيعة الدين الجديد، والوضع السياسيّ المحيط بالمدينة، فهو أحوج ما يكون إلى الاتحاد،

(1) الشيخ الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، 1404 - 1984م، لا ط، ج 2، ص 122.

ورصّ الصفوف، وإزالة عوامل الاختلاف والتفرّق؛ ليتمكّن -على ضعف إمكاناته- من الصمود في وجه الأعاصير التي توشك أن تعصف من مختلف الاتجاهات.

لقد قام ﷺ بالمؤاخاة بين المسلمين؛ ليجعل من الإسلام محور وحدتهم وأساس ارتباطهم وقطب حركتهم، وليجعل القرابة الجديدة أقوى من قرابة الرحم والنسب، وليجعل هذه الرابطة أوثق من رابطة القبيلة والوطن. لقد قضى ﷺ بذلك على العصبية الجاهلية والنزعات المختلفة التي كانت تمزّق المجتمع آنذاك، وأحلّ محلّها من الألفة والأخوة ما لم يذق ذلك المجتمع طعمه من قبل، فصنع من المجتمع الناشئ الصغير قوّة كبرى، دافعت عن الإسلام، واحتضنته بقوّة، وأفشلت المؤامرات كلّها التي استهدفت القضاء عليه، ثمّ حملت رايته المنتصرة لترفعها فوق ربوع الجزيرة العربية في مدّة يسيرة، ثمّ منها إلى أقطار المعمورة. إنّ من فضول القول الحديث عن اهتمام الإسلام بالاتحاد والألفة، ورفضه عوامل التشتّت والنزاع.

قد يتصوّر بعض أنّ الحديث عن «الوحدة الإسلامية» في هذا العصر فيه نوع من المثالية وضرب من الخيال، نظراً إلى ما آل إليه المسلمون من التفرّق والاختلاف، حتّى أصبحوا طرائق قديماً؛ الأمر الذي يجعل لمّ شملهم وإعادة اللحمة بينهم قضية عسيرة جدّاً؛ ممّا يدفع الكثيرين إلى اليأس والاستسلام للواقع المرّ، وهو لا يزيد الشقّة إلا عمقاً والجرح إلا اتساعاً.

وفي المقابل، يوجد العديد من المخلصين الذين نذروا أنفسهم



للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وسعوا جهدهم لردم الهوة المصطنعة وتضميد الجراح. هؤلاء انطلقوا في جهودهم تلك على أساس من الإحساس بالمسؤولية، والشعور بالتكليف الشرعي، والحرص على وحدة الصف.

وكلّ سعي في هذا المجال إذا أُريدَ له النجاح فلا بدّ من أن يقوم أولاً على دراسة وافية لعوامل التفرقة التي أدّت بالمسلمين إلى ما هم عليه، وبعد ذلك التخطيط لإزالة تلك العوامل وتحسين المجتمع الإسلاميّ ضدّها، واستبدالها بدواعي الاتحاد والألفة. ويمكن تقسيم العوامل إلى داخلية وخارجية:

أما الداخلية: فتتمثّل في النوازع البشريّة المختلفة؛ من قبيل حبّ الرئاسة والتسلّط وحبّ الذات ولو على حساب حقوق الآخرين؛ ممّا يدفع إلى الظلم والجور، والإقبال على الدنيا بما يتجاوز الحدود الطبيعيّة. وهذه الأمور هي الأساس الذي يتولّد عند النزاع والضغائن والأحقاد، وربما جرّت إلى التعديّ والطغيان وسفك الدماء وسحق الحريّات، وما إلى ذلك من التجاوزات التي تُفتّت المجتمع وتُشتّت الأُمّة، كما أنّ الجهل يُشكّل عاملاً مهماً في بثّ الفرقة.

وهذا النوع من العوامل لا يخلو منه مجتمع بشريّ، ولعلّ من أهمّ أهداف الدين الإسلاميّ، بل الأديان السماويّة كافّة معالجة هذه النزعات البشريّة وتعديلها من خلال البرامج التربيّة والقوانين الشرعيّة.

فمنظومة العبادات تربيّ الإنسان على العبوديّة لله والطاعة

المطلقة، وتحرّره من قيود الشهوات الحيوانية والنوازع النفسانية. كما أنّ الدراسات الأخلاقية تتكفّل بمعالجة هذا الجانب، ووظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حقيقتها تشكّل حالة من التكافل الاجتماعيّ للوقاية من تلك الأمراض، ونظام الحدود والتعزيزات أيضاً شرّع لذلك الغرض.

وأما العوامل الخارجية: هي العوامل الدخيلة على المجتمع الإسلاميّ، والتي تستهدف تجزئته وتحطيم الأواصر، وبثّ الفرقة، وإثارة النزاعات والحروب؛ لإضعاف المجتمع والسيطرة عليه، أو تشويه الإسلام والحيلولة دون انتشاره واتّساع رقعته.

وقد يستفيد المخطّطون لهذه الأهداف من القسم الأول من العوامل، ويعملون على تنميتها واستغلالها كأدوات فعّالة لخدمة مآربهم، ونحن إنّما فصلناها؛ لأنّها في نفسها تُشكّل أحياناً عوامل مستقلّة، وإنّ كانت أيضاً بالنسبة إلى القسم الثاني تُشكّل أرضيّة ملائمة لها وأدوات فعّالة لخدمتها.

وبالطبع، فإنّ أعداءنا الذين يتربّصون بنا الدوائر، وقد يستفيدون من الكثير من نقاط الضعف، وينقذون مخطّطاتهم من خلال العديد من الثغرات، ويستخدمون من الأدوات ما يتيسّر لهم. وقد تختلف هذه الأدوات من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان آخر، وقد تُصبغ الأدوات أحياناً بصبغة دينيّة، وأخرى بصبغة اقتصادية، وربّما استُخدمت وسائل محلّية تُخفى على الكثيرين، ولا يُدرك حقيقتها إلّا أهل البصائر.

وأشدّ الأدوات فتكاً تلك التي تعمل بوجي الأعداء من دون أن
تدري، بل ربّما تصوّرت نفسها تخدم الدين وتحرص على مصالح
المسلمين، وهي ليست كذلك.

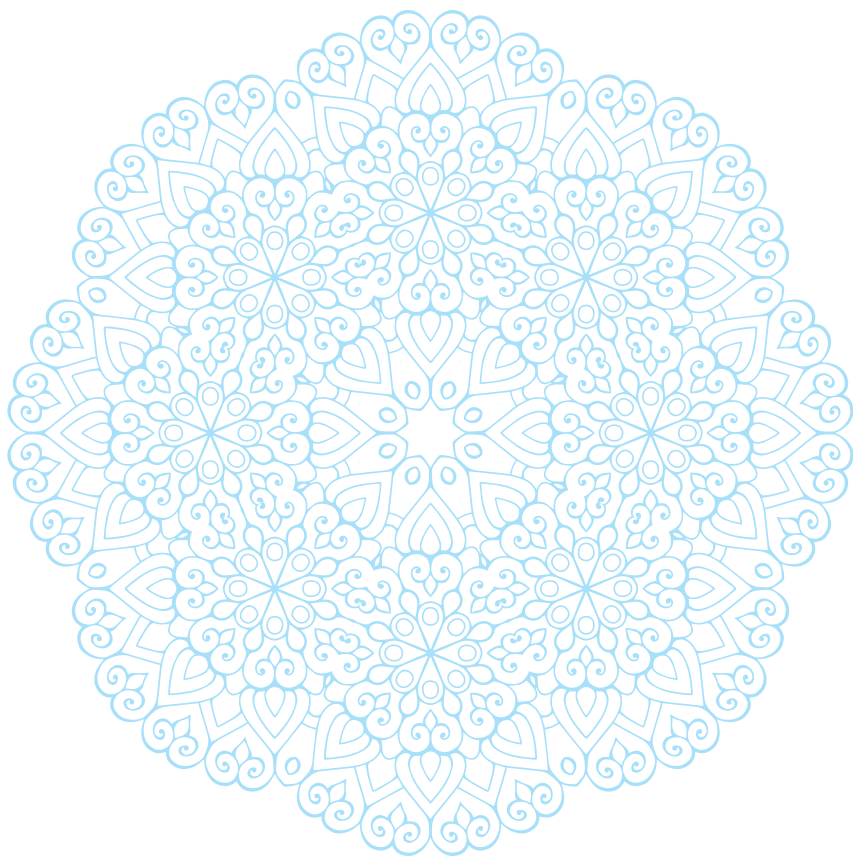


الفصل الخامس



السياسة الجهادية لرسول الله ﷺ





الدعوة النبوية في مكة المكرمة⁽¹⁾

من يقرأ سيرة الرسول ﷺ في الأيام الأولى لبعثته المباركة، وبعد شروعه في الإنذار والتبليغ، يدرك بوضوح أنه واجه مصاعب جمّة ومشكلات عصيبة؛ فقد قابله قومه بالجمود والرفض، وشتوا ضده حرباً إعلامية نفسية مفتوحة لم توفر سلاح الدعاية والتشويه والتشنيع والاتهامات والدعاوى الكاذبة في سبيل إسقاطه بين الناس، والطعن في شخصيته ومكانته، كما هي طريقة أهل الجحود والعناد في كلّ عصر.

وقد تطوّرت حربهم ومواجهتهم مع الأيام، فكانوا كلّما اكتشفوا تأثيره على الناس، زاد اعتداؤهم على شخصه الشريف، حتّى لجأوا إلى تعذيب أصحابه الضعفاء، وقد استشهد منهم من استشهد تحت وطأة التعذيب.

(1) لقد ذكر سماحة الشيخ الكثير من العناوين التي تحتاج إلى تخريج مصادر بشكل تفصيلي، ويمكن مراجعتها مفصلاً عند: مرتضى، السيد جعفر، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، 1426هـ، ط1، الموسوعة كاملة؛ ياسين، الشيخ كاظم، تاريخ خاتم الأنبياء، دار المحجة البيضاء، لبنان - بيروت، 1434هـ/2013م، ط1، ج1؛ ج2.



ولم يكن يمنعهم آنذاك من التفكير في قتله إلاّ الخوف من أبي طالب عليه السلام، مضافاً إلى أنهم لم يكونوا حتّى ذلك الوقت يدركون حجم الخطر الواقعيّ الذي يشكّله عليهم رسول الله عليه وآله ودينه الجديد.

واشتدّت المحنة على الذين دخلوا في الإسلام، وعلى الرسول عليه وآله وبني هاشم عامّة، فكان الحصار الذي فُرض على بني هاشم، والذي استمرّ ثلاثة أعوام، مُنعوا خلالها من الاتصال بالناس، ومُنِع الناس من التعامل معهم بشكلٍ تامّ.

ونظراً إلى شدّة التعذيب والاضطهاد، اتخذ النبي عليه وآله قراراً بهجرة المسلمين إلى الحبشة، وقد حاولت قريش اللحاق بهم إلى الحبشة عبر مبعوثيها لتأليب الأجواء عليهم هناك والسعي لاستعادتهم ليكونوا تحت الرقابة المباشرة والحصار.

في مثل هذه الإجواء، مرّت المرحلة المكيّة من حياة الرسول عليه وآله، والتي استمرّت ثلاث عشرة سنة من الصبر والمعاناة، وتحمل الشدائد في سبيل نشر معالم الدين وإيصال صوت الإسلام إلى الناس، ولم يكن الرسول عليه وآله طيلة تلك المدّة يأذن لأحد من المسلمين في اللجوء إلى السيف رغم الاستفزازات المستمرة والصعوبات البالغة، وقد كاد الكثير من المسلمين أن يفقد صبره وتحملّه، إلاّ أنّ الرسول عليه وآله كان يحرص على عدم خوض أيّ عمل عسكريّ أو مواجهة مسلّحة مع قومه والرافضين لرسالته. وكثيراً ما كان يلجأ عليه وآله إلى شراء العبد الذي يدخل الإسلام وعتقه لإنقاذه من الفتنة والبلاء الذي ينصبّ عليه من قبل مولاه إذا أسلم.

وكان يأمر الضعفاء بكتمان إيمانهم، يأذن لهم في التقية وإظهار كلمة الكفر، ولا يلتقي بهم إلا سرّاً بعيداً عن عيون المراقبين.

بعد الهجرة

بعد هجرة المسلمين الأولى، كانت الهجرة الثانية إلى المدينة. وقد شكّلت هذه الهجرة المباركة مفصلاً مهماً في تاريخ الإسلام، ومرحلة جديدة أتاحَت الفرصة لانتشار الإسلام بالاتجاهات كلّها، وكسر الحواجز والمعوقات التي كانت تحول دون ذلك في المرحلة المكيّة.

ومن يلقي نظرة على هذه المرحلة، ويتتبع أحداثها من هجرته ﷺ إلى وفاته، يجد أنّ الرسول ﷺ قد خاض معارك عدّة، ولجأ إلى السيف أحياناً كثيرة في قتاله مع المشركين، وقد انتهت مواجهته لهم بفتح مكّة؛ أمّا في مواجهته مع اليهود، فإنّ المواجهة لم تنتهِ إلا بإخراجهم من المدينة، والسيطرة على معظم حصونهم ومعاقلهم خارجها.

والأسئلة التي تطرح نفسها هي: لماذا اعتمد الرسول ﷺ منطق القوّة؟ وما هي العوامل التي دفعته إلى اتّباع سياسة الحرب؟ وهل كان ﷺ يفرض الحرب على الآخرين أم أنّ الحرب كانت تفرض عليه فرضاً ويختارها الأعداء؟

تحدّث المؤرّخون عن سبع سرايا أرسلها الرسول ﷺ قبل بدر، لم يحصل فيها أيّ مواجهة دمويّة إلا السريّة الأخيرة التي لم تكن



مأمورة بالقتال، بل كانت مهمتها استطلاعية. والذي يبدو واضحاً، أن الرسول ﷺ أراد في بداية تشكيله للكيان الإسلامي والانطلاق نحو تبليغ رسالته أن يحقق أموراً عدة كان لا بدّ منها:

الأول: الحفاظ على هيبة المدينة وحريمها، وإبعاد الأعداء الذين حالوا بينه وبين نشر الإسلام لسنوات طويلة، وبالتالي منعهم من الاقتراب من المدينة والمرور عليها. وهذا الأمر يعطي الدولة الجديدة هيبة خاصّة، ويُقوّي نفوس الذين يرغبون في الدخول في الدين الإسلامي.

الثاني: الحدّ من نفوذ قريش وإسقاط هيبتها بين العرب، فقد كانت هيبة قريش تشكّل عقبة كبيرة في طريق الكثير من القبائل التي لولاهما لدخلت في الإسلام. وكانت قوافل تجارة قريش تمرّ على أطراف المدينة في طريقها إلى الشام ذهاباً وإياباً، وكانت المدينة بالنسبة إلى قريش تُعدّ موقعاً اقتصادياً مهماً لا يُستغنى عنه، فأراد الرسول ﷺ من خلال اعتراض تلك القوافل أن يحقق هذين الهدفين، ويجبر قريش على التخلّي عن إصرارها على محاربته، ومعارضة الإسلام، ووضع العقبات في طريق انتشاره، ولقد كان يُدخل ذلك في دائرة التعامل بالمثل، والحصار في مقابل الحصار. وبالفعل، فإنّ قريشاً أدركت هذا المعنى فكانت ترى أنّ تجارتها باتت في خطر، وأنّها إن سكنت على الأمر، انتشر ذلك في العرب، وسقط عزّها وعنفوانها، وما لها من مكانة.

وقد يفهم بعض المؤرخين من تلك السرايا أنّها كانت تهدف إلى وضع اليد على الأموال واكتساب الغنائم، إلا أنّ هذا الفهم خاطئ، فهو يستند إلى نظرة سطحيّة إلى الأحداث، ولم يأخذ في الحسابات الأهداف الحقيقيّة للرسالة الإسلاميّة، ولم يقارن هذه النتيجة بالمنهج الذي اعتمده الرسول ﷺ طيلة حياته الرساليّة.

فالغنيمة لم تكن في يوم من الأيام هي الباعث على الحرب في الإسلام، ولم يأمر الإسلام بالحرب من موقع طلب الغنيمة.

الثالث: من نتائج السرايا عقد المودعات والتحالفات مع القبائل المتواجدة في مناطق التحرك، وقد كان لذلك دور مهمّ في تأمين الطرق وحماية المدينة.

وقد يتوهّم بعضهم أنّ تلك السرايا كانت تهدف وضع اليد على الأموال واكتساب الغنائم، لكن هذا الفهم خاطئ، وهو يستند إلى النظرة السطحيّة إلى الأمور، ولم يأخذ الأهداف الحقيقيّة للرسالة الإسلاميّة عين الاعتبار، ولم يقارن هذه النتيجة بالمنهج الذي اعتمده الرسول طيلة حياته الرساليّة.

فالغنيمة لم تكن في يوم من الأيام هي الباعث على الحرب في الإسلام. نعم، قد يشكّل ذلك باعثاً عند بعض المسلمين أو عند بعض الحكّام، إلا أنّ الإسلام لم يحارب، ولم يأمر بالحرب من موقع طلب الغنيمة.

قبل بدر الكبرى

نقل المؤرخون سرايا عدّة أرسلها الرسول ﷺ قبل بدر، هي:

- 1 - سرية بقيادة حمزة، قوامها ثلاثون راكباً، خرجت إلى سيف البحر، والتقت بأبي جهل في ثلاثمائة راكب. ولم يقع بين الطرفين قتال. وأُرسلت هذه السرية في الشهر السابع من الهجرة.
- 2 - سرية عبدة بن الحارث الذي خرج في ستين من المهاجرين في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، فلقيت جمعاً عظيماً من قريش في وادي رابغ. ولم يقع قتال بين الفريقين، وكان على قريش أبو سفيان بن حرب، وذكروا أنّ سعد ابن أبي وقاص رمى المشركين، ولم يحصل قتال بالسيوف حتّى انصرفوا.
- 3 - غزوة الأبواء بقيادة الرسول ﷺ على رأس أحد عشر شهراً، حيث كان الهدف منها اعتراض قريش، فلم يلقَ كيداً. وقد وادع في الغزوة بني ضمرة على ألاّ يُعينوا عليه أحداً، وكتب بينهم كتاباً، وقيل بني مرة بن بكر.
- 4 - غزوة بواط لاعتراض قريش، فيها أُميّة بن خلف في مئة رجل من قريش وألفين وخمسمئة بعير، وكانت على رأس ثلاثة عشر شهراً، ولم يقع فيها قتال، وقيل لاعتراض عير بني ضمرة.
- 5 - غزوة سفوان أو بدر الصغرى، على رأس ثلاثة عشر شهراً أيضاً، في طلب كُرْز ابن جابر الفهريّ الذي كان قد أغار على بعض رعاتها في أطراف المدينة وأخذ أنعامهم، فطلبه الرسول ﷺ

حتى بلغ وادي سفوان في بدر، ولم يدركه فرجع، وقيل كانت هذه الغزوة بعد غزوة ذي العشيرة.

6 - غزوة ذي العشيرة على رأس ستّة عشر شهراً من الهجرة لاعتراض عير قريش، التي جاء الخبر بأنّها خرجت من مكّة تريد الشام، وقد جمعت قريش أموالها في تلك العير، ولم يلقَ فيها كيداً، لكنّه وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثمّ رجع إلى المدينة.

7 - سرّيّة عبد الله بن جحش إلى بطن نخلة لرصد تحرّكات قريش، وقد خرجت السريّة في كتمان تامّ لوجهتها، حيث كتب الرسول ﷺ كتاباً وأمره أن لا يفضّه إلّا بعد أن يسير يومين، فلمّا سار يومين نظر في الكتاب، فوجد فيه أن سرّ على بركة الله بمنّ تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة، فترصّد بها عير قريش أو قريشاً حتى تأتينا منها بخبر. ومرت بهم قريش هناك، وانكشف أمر السريّة، فخافوا أن يصل خبرهم إلى مكّة فتدركهم قريش، فصمّموا على قتال العير، فرموا رجلاً فقتلوه، وأسروا رجلين منهم، وفرّ الرابع واستاقوا العير. وقد أنكر عليهم رسول الله ﷺ ذلك، وامتنع من أخذ الغنيمة، قالوا حتى نزل في ذلك الوحي فأخذها.

بدر الكبرى

بدر كانت المعركة الأولى، والمواجهة المسلحة الأولى بين قريش وحلفائها من جهة، وبين الرسول ﷺ والذين آمنوا معه من جهة أخرى.

ولقد جاءت بدر نتيجة مقدمات ووقائع عدة هيأت للحرب، من تلك المقدمات:

أولاً: مكاتبه قريش لمشركي المدينة التي جاء فيها: «إنكم أوتيتهم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عدداً، وإننا نقسم بالله لتقتلنّه، أو لتخرجنّه، أو لنستعن عليكم العرب، أو لنسيرنّ إليكم بأجمعنا حتّى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم»⁽¹⁾.

وقد حصلت بعد ذلك مراسلات عدّة عمل من خلالها المشركون في مكة على تحقيق تحالف مع مشركي المدينة للقضاء على الإسلام، وبالفعل فقد ظهرت بوادر ذلك التحالف في بعض التصرفات.

ثانياً: خطّة الرسول ﷺ القاضية بالتضييق على قريش في مصالحها الحيويّة، وإعاقة حركة قوافلها التجاريّة عبر أطراف المدينة وحريمها، كما تقدّم.

وقد كان الرسول ﷺ في غزوة ذي العشيرة (ستة عشر شهراً من الهجرة) قد خرج لاعتراض عير قريش بقيادة أبي سفيان، وقد فاتته ولم يدركها، وكانت متجهة نحو الشام وفيها أموال قريش، يُقال إنه لم يبق أحد في مكة من ذوي المال إلا وقد شارك فيها. فلمّا علم الرسول ﷺ بعودتها انتدب المسلمين لاعتراضها، فبلغ أبا سفيان ذلك، فأرسل إلى مكة يستغيث قريشاً التي ثارت ثائرتها، وتجهّزت بسرعة لاستنقاذ القافلة، لكنّ أبا سفيان غيّر طريقه ونجت القافلة من اعتراض المسلمين، وعلى الرغم من ذلك فقد

(1) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، لات، لا.ط، ج6، ص189.

أَصْرَتْ قَرِيْشٌ عَلَى الْمَضِيِّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِمَحَارَبَةِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَقَدْ أَصْرَّ أَبُو جَهْلٍ عَلَى مَهَاجِمَةِ الْمَدِينَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي نَادَتْ بِالرَّجُوعِ وَالْاِكْتِفَاءِ بِسَلَامَةِ الْقَافِلَةِ وَالْأَمْوَالِ ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ رَجُوعِ بَعْضِهِمْ كَبْنِي زَهْرَةَ عَلَى مَا نُقِلَ.

وَقَدْ كَانَ إِصْرَارُ أَبِي جَهْلٍ يَهْدَفُ إِلَى اسْتِعَادَةِ هَيْبَةِ قَرِيْشٍ عِنْدَ الْعَرَبِ ، وَقَدْ هَدَّدَ مِنْ لَا يَخْرُجُ مَعَهُمْ يَهْدِمُ دَارَهُ. وَبِالْفِعْلِ فَقَدْ تَابَعَ الْجَيْشُ سِيرَهُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، وَلَمَّا بَلَغَ الرَّسُولُ ﷺ خَبَرَ مَسِيرَهُمْ صَهْمًا عَلَى الْخُرُوجِ لِمُوَاجَهَتِهِمْ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ امْتَحَنَ أَصْحَابَهُ ، وَاخْتَبَرَ مَقْدَارَ اسْتِعْدَادِهِمْ ، وَسَارَ بِهِمْ حَتَّى بَدَرَ الْوَاقِعَةُ عَلَى مَسَافَةٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ.

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ فِي مَا يَقْرُبُ مِنْ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ مَدْرَعِينَ مَسْلَحِينَ مَعَهُمْ 700 بَعِيرٍ ، وَمِنْ الْخَيْلِ أَرْبَعُمِئَةِ ، وَقِيلَ مِئَتَانِ ، وَقِيلَ مِئَةٌ.

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ 313 رَجُلًا لَيْسَ مَعَهُمْ إِلَّا سَبْعُونَ بَعِيرًا وَفَرَسٌ وَاحِدٌ أَوْ فَرَسَانِ ؛ وَمِنْ السِّلَاحِ سِتَّةُ أَدْرَعٍ وَثَمَانِيَةُ سَيْوُفٍ.

وَنَزَلَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ سَبَقُوا فِي الْوُصُولِ إِلَى مَاءِ بَدْرٍ ، نَزَلُوا فِي الْعُدُوَّةِ الْقَصْوَى ، وَهِيَ رِبْوَةٌ عَالِيَةٌ اسْتِرَاطِيغِيَّةٌ ، وَالْمَاءُ مَعَهُمْ.

بَيْنَمَا نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا أَسْفَلَ مِنْهُمْ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ. وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- الْمَطَرَ فَأَوْحَلَ الْأَرْضَ فِي الْعُدُوَّةِ الْوَسْطَى وَلَبَّدَهَا فِي الْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَعَوَّضَ الْمُسْلِمِينَ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْمَاءِ ، فَأَقَامُوا الْحَيَاضَ ، وَجَمَعُوا فِيهَا مَاءَ الْمَطَرِ ، فَشَرَبُوا وَاغْتَسَلُوا.

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَقُولُ لَهُمْ: «مَعَاشِرَ قَرِيْشٍ



إني أكره أن أبدأكم بقتال فخلّوني والعرب وارجعوا، فإنّ ألك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وإنّ ألك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري»⁽¹⁾.

ولقد أثر هذا الكلام بعتبة بن ربيعة الذي رجّح قبول ذلك، إلّا أنّ أبا جهل اتّهمه بالجبن، وهذه تهمة عظيمة عندهم آنذاك؛ ممّا دفع عتبة إلى لبس درعه مع أخيه شيبة وابنه الوليد، وتقدّموا يطلبون البراز.

وأرسل الرسول ﷺ لمبارزتهم عبدة وحمزة والإمام عليّاً رضي الله عنه، وقال لهم: «اطلبوا بحقّكم الذي جعله الله لكم...»⁽²⁾. وقد انتهت المعركة بالنصر الحاسم للمسلمين، وقُتل من المشركين سبعون وأُسّر مثلهم، واستُشهد من المسلمين تسعة أو أحد عشر، وقيل أربعة عشر.

وإذا لاحظنا الفرق الكبير بين الفريقين على مستوى العدة والعدد، والفرق الكبير على مستوى الأهداف والإيمان، ندرك عظمة النتائج، وأهميّة المعركة، والدور الغيبيّ فيها.

ولقد حقّقت معركة بدر أهدافاً عدّة للمسلمين، منها:

1. إنّها أسقطت هيبة قريش، ومرّغت أنفها بالتراب، وقضت على غطرستها.

(1) السيّد جعفر، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، مصدر سابق، ج 5، ص 303.
(2) القتي، عليّ بن إبراهيم، تفسير القتي، تصحيح وتعليق وتقديم: السيّد طيّب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران - قم، 1404 هـ، ط 3، ج 1، ص 264.

2. إنها بعثت في المسلمين روح الثقة بالنفس، ورفعت معنوياتهم؛ الأمر الذي انعكس على واقع الدعوة.

3. إنها أعطت المسلمين مكانة في نفوس العرب، وأصبحوا قوة يُحسب لها حساب.

كما أنّ بدرًا، من الناحية السياسيّة، أدخلت الجزيرة في مرحلة جديدة من خلط الأوراق والتحالفات والمواجهات، وكانت بداية لمواجهات عديدة أشدّ عنفاً انتهت بالسيطرة العسكريّة للمسلمين على مكة.

لا بدّ في هذا السياق من الإشارة إلى نقاط وردت في سياق النصوص التاريخيّة المتقدّمة:

1. كلام الرسول ﷺ مع المشركين قبل بدء القتال، وكشفه عن السياسة الجهاديّة التي تحدّد الأولويّات عنده ﷺ.
2. وصيّة الرسول ﷺ لعليّ السّليمان ومن معه من المجاهدين: «اطلبوا بحقّكم الذي جعله الله لكم...» التي تشير إلى حقّ مُغتَصَب .

ما بعد بدر الكبرى

بعد بدر، أحسّت قريش أنّ طريق تجارتها قد قُطِع، وحاولت سلوك طريق العراق، فبلغ رسول الله ﷺ ذلك، وبعث سرّيّة قطعت طريقها، وكان المشركون في مكة قد ألوا على أنفسهم أن لا يُنفقوا من المال الذي سلّم من قافلة أبي سفيان إلّا في حرب المسلمين.



وقد تركت بدر في أعماقهم جرحاً بليغاً، فقرّروا العودة إلى الانتقام والثأر، فأرسلوا في القبائل من يؤيّلها ويستنفروا للحرب، وتجهّزوا لها، وقَدِموا المدينة، فكانت وقعة أُحُد الحرب الثانية التي جرت على أطراف المدينة، وذلك في شَوال على رأس 32 شهراً من الهجرة.

ثمّ كانت غزوة الأحزاب (الخندق) التي اجتمع فيها أحلاف المشركين، وحاصروا المدينة حتّى نصرَ الله دينَه بضربة عليّ عليه السلام المعروفة، فأعادتهم العناية الإلهيّة إلى ديارهم خائبين. ثمّ كان فتح مكّة بعد أن أخلّ المشركون بصلح الحديبيّة.

هذه جملة الحروب التي جرت بين الرسول ﷺ وقريش في مكّة. وبعد فتح مكّة كانت وقعة حُنين التي تظاهر فيها عدد غير قليل من قبائل العرب على قتال رسول الله ﷺ.

وخلاصة ما يمكن استفادته من هذه الصراعات أمور:

1. يؤكّد القرآن على الدعوة بالتي هي أحسن، حيث يقول -تعالى:- ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾⁽¹⁾، وهذا أصل بالنسبة إلى أسلوب الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، لا يسمح بالخروج عن هذا المبدأ، إلّا عندما تكون ثمة دواعٍ أخرى وظروف خاصّة تفرض ذلك.
2. الجهاد، واستعمال السيف، والحفاظ على القوة، أمورٌ ضروريّة جدّاً في كلّ زمان ومكان، لتحفظ للإنسان وللمجتمع وللدّين

عزّته ومنعته، وإلاّ راح ضحيّة، ومُنِع من تحقيق هدفه، وحيل بينه وبين أن يقول كلمته ويؤدّي رسالته. فالسيف ضروريّ جدّاً، لا من أجل إقناع الآخرين، بل من أجل حفظ الاستقلال والهيبة والاحترام. ومن المعروف -على مرّ التاريخ- أنّ الناس لا يحترمون الضعفاء، بل في عصر الحرّيّة الذي نعيش، لا يستمع الناس إلّا للقويّ، ولا زالوا يحتقرون الضعيف.

3. أمّا بالنسبة إلى الأخطار التي تهدّد مجتمعاتنا، والظلم الذي نتعرّض له على يد القوى التي تحوّل دون استعمال المنطق والعقل، وتسلب الأمّة حرّيّتها، وتريد أن تفرض هيمنتها بالقوّة، فلا بدّ لنا من اللجوء إلى القوّة من أجل الوقوف في وجهها ومنعها من تحقيق أطماعها الاستعماريّة والعدوانيّة.

4. كان الرسول ﷺ يعمل في سياسته الجهاديّة على محورين: **الأوّل:** تعبئة المسلمين، وتنمية روح المقاومة والاستعداد والجهوزيّة، وحفظ حريم المدينة والقبائل التي دخلت الإسلام، وعدم الرضى بالذلّ والانزمام.

الثاني: الدفاع والجهاد في الحالات التي كان يتعرّض فيها الإسلام والمسلمون للتهديد، ومحاربة من ينقضّ العهود والمعاهدات.

5. سياسة الرسول ﷺ مع أهل الكتاب كانت تبدأ بالمعاهدة على عدم مهاجمة المسلمين، وعدم الاعتداء عليهم، وحفظ حقوقهم. وليس أدلّ على ذلك من نصّ الوثيقة الدستوريّة التي أملاها رسول الله ﷺ لتنظيم العلاقة مع القبائل اليهوديّة في المدينة في مطلع الهجرة. ولم يعتمد رسول الله ﷺ إلى محاربتهم



بعد ذلك إلا نتيجة لنقض العهود والخيانة، كما حصل مع بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة من يهود المدينة الذين خانوا الرسول ﷺ، ولم يلتزموا بالمعاهدات، وظاهروا المشركين عليه، فأذّلهم الله، وقاتلهم الرسول ﷺ وقتلهم.

6. حكم الرسول ﷺ على بني قينقاع، بعد حصارهم، بالخروج وتسليم الأموال والأسلحة، وإجلائهم إلى أذرعات. وحكم على بني النضير الذين تأمروا على اغتيال الرسول ﷺ ولم يتمّ لهم ذلك بالخروج بما حملت الإبل من المتاع، وحكم على بني قريظة بالقتل وسبي النساء والذراري، أما الحكم الأخير فكان نتيجة لنزولهم على حكم سعد بن معاذ الأنصاري، وكان هذا حكمهم في توراتهم، فألزمهم بما ألزموا به أنفسهم.

7. صلح الحديبية الذي عقده الرسول ﷺ مع مشركي مكة تضمّن هدنة مداها عشر سنوات، الحكمة فيها هي إتاحة الفرصة أمام المسلمين للتبليغ ونشر كلمة التوحيد.

دروس من معركة أُحُد

بعد النصر الإلهي المؤرّر الذي أنزله الله على رسوله وعلى المؤمنين في يوم بدر، والهزيمة التي لحقت بالمشركين، عادت قريش إلى مكة تلملم ذيول الخيبة، وأجمع زعمائها على الانتقام من محمد ﷺ، لاستعادة ماء الوجه الذي فقده، فجهّزوا أنفسهم، وحشدوا رجالهم، وأعدّوا عدّتهم، وأخرجوا معهم النساء، وتوجّهوا نحو المدينة المنورة (يثرب).

وعليه، فإنّ المواجهة في أحد مرتبطة بنتيجة بدر، وهي امتدادٌ لها، فبين بدر وأحد ارتباط وثيق على مستوى الأسباب والدوافع والأهداف. وإذا كنّا نرى أنّ حرب الرسول ﷺ في معركة بدر كانت حرباً دفاعية تهدف إلى ردع قريش التي كانت تُرهب العرب، وتمنع الرسول ﷺ من إيصال صوته إلى الناس ونشر دعوته بين القبائل، والتي اضطهدت المسلمين في مكة وألجأتهم إلى الهجرة إلى يثرب وإلى الحبشة، فإنّ معركة أحد في الطابع الدفاعي أوضح، حيث جرت أحداثها على مشارف المدينة. ولم يبدأ المسلمون بالإعداد للمواجهة إلا بعد خروج المشركين من مكة وبلوغ خبرهم إلى المدينة.

ومجرّد إطلاق اسم الغزوة عليها، كما فعل كثير من المؤرّخين، لا يسلخ عنها الطابع الدفاعي المؤكّد، فقد دأب المؤرّخون على تسمية الحروب كلّها التي خاضها الرسول ﷺ بالغزوات، على الرغم من أنّها كانت للدفاع، والردع، والمعاقبة على التآمر والخيانة ونقض العهود، كما هو واضح لدى تحليل الدوافع والظروف التي أوصلت إلى المواجهة.

المشاورّة والعزم

ينقل كتاب السيرة أنّ رسول الله ﷺ جمع وجوه أصحابه عندما بلغه نبأ خروج المشركين من مكة، واستشارهم قبل وضع خطة الدفاع والمواجهة، وقد أشار عليه بعضهم بالبقاء في المدينة

والقتال في الأزقة وبين البيوت، بينما أشار آخرون عليه بالخروج والقتال خارج المدينة، وبرّر كلّ فريق موقفه بوجه من وجوه الحكمة. ويبدو أنّ رسول الله ﷺ كان يميل إلى الرأي الأول، حيث حدّثهم برؤيا كان قد رآها، ولكنّ أغلب الناس كانوا يرون الرأي الآخر.

ولا نريد هنا أن نناقش الصحيح في حقيقة وجهة نظر الرسول ﷺ، حيث اختلف المحللون للسيرة في ذلك، إلا أن المهم أن رسول الله ﷺ، اتخذ موقفاً حازماً يوافق رأي الأغلبية التي أصرت على الخروج، ولبس لامة حرب، وأمر بالخروج إلى حبل أخذ.

ومِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مُسَدِّدًا بِالْوَحْيِ،
مَعْصُومًا، لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَا يَسَاعِدُهُ عَلَى تَرْشِيدِ رَأْيِهِ وَتَصْوِيبِ
مَوْقِفِهِ، فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَجْهَلُ الصَّوَابَ لِتَسَاعُدِهِ الِاسْتِشَارَةُ عَلَى رَفْعِ
الْجَهْلِ، وَلَا تَنْقُصُهُ الْمَعْرِفَةُ فَيَزِدَادُ بَآرَاءَ النَّاسِ مَعْرِفَةً، وَقَدْ رُوِيَ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ عِنْدَ نَزُولِ آيَةِ: ﴿وَسَآوِرُهُمْ
فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ﴾⁽¹⁾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا أَنَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَغَنِيَانِ عَنْهَا، وَلَكِنْ جَعَلَهَا اللَّهُ رَحْمَةً لِأُمَّتِي، فَمَنْ اسْتَشَارَ
مِنْهُمْ لَمْ يُعْدَمْ غِنًى»⁽²⁾.

(1) سورة آل عمران، الآية 159.

(2) السيوطي، الدر المنثور، مصدر سابق، ج 2، ص 90.

فقد شاور الرسول ﷺ قومه لحكمة نلخصها فيما يلي:

1. اختبار نيّاتهم، واستخراج مكنونات أفكارهم، ليعرف قناعاتهم وطريقة تفكيرهم ومقدار استعدادهم؛ ممّا له أثر في وضع الخطّة واتّخاذ الموقف المناسب.
 2. تحقيق الحدّ الأعلى من الفاعليّة والجهوزيّة للقتال، نظراً إلى شعورهم بالمسؤوليّة تجاه الرأي الذي صدر عنهم، والقرار الذي ساهموا في صنعه؛ ممّا يجعلهم أحرص على إنجاحه.
 3. جعلهم أكثر استعداداً لتحمل النتائج الصعبة والشاقّة، وربّما الخسائر المحتملة، والحيلولة دون إلقاء اللوم والتبعات على كاهل الغير؛ ممّا يحدّ من إمكانيّة نشوء معارضة داخلية وحالة تدمر عند فداحة الخسائر.
 4. ثمة حكمة أهمّ ممّا تقدّم كلّها، وهي أنّ استشارة النبي ﷺ لأصحابه، وهو المسدّد بالوحي، تشكّل عملاً تربوياً يساهم في التأسيس لنهج في القيادة يقوم على أساس المشاركة، ويحول دون النزوع إلى الاستبداد في الحكم من قبل الحكّام من بعده، كما أنّ الاستشارة تساهم في رفع مستوى الوعي السياسي والإداري، وتدفعهم نحو الاهتمام والبحث عن الحلول وتقويم الآراء والمواقف؛ الأمر الذي يؤهّلهم لتحمل المسؤوليّات.
 5. تُعدّ المشاورة عمليةً سياسيّة تستفيد منها القيادة في تعاملها مع بعض الأشخاص والقوى التي ترى القيادة أنّ ثمة مصلحة في استمالتهم، وتأليف قلوبهم، والتعامل معهم بأسلوب يُرضي جانباً من طموحاتهم؛ لتأمين جانبهم.
- إلى غير ذلك من وجوه الحكمة التي لا تخفى.

الطاعة والالتزام

يحثّ القرآن الكريم على طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ في كل صغيرة وكبيرة يأمران بها، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾⁽¹⁾.

وتزداد أهميّة الالتزام بالطاعة في المواقف الحسّاسة والخطيرة، والتي تنعكس نتائجها على مصير الدين والأمة ومقدّراتها. ومن ذلك المواقف القتاليّة، فإنّ خطّة القيادة الحكيمّة -عادةً- تلحظ الكثير من التفاصيل والأهداف والسياسات الأمنيّة والتكتيكيّة الدخيلة في الصمود وتحقيق الفوز ممّا لا يدركه الأفراد، ولا يمكن وضعه بأيديهم بالأصل، فأيّ ثغرة مهما كانت محدودة وصغيرة قد تؤدّي إلى فشل وهزيمة وخسائر فادحة، كما حصل في معركة أُحُد.

ولعلّ ذلك هو السبب في حرص قيادات الجيوش على تربية الجند على الطاعة بدقّة، حيث تعطي القيادة العسكريّة هذه القيمة أولويّة كبرى، مع عدم إسقاط أهميّة القيم الأخرى والمهارات والقدرات القتاليّة المطلوبة. ولا يمكن للقيادة أن تضمن نجاح أيّ خطّة إذا لم تضمن التقيّد التامّ بتفاصيلها من قبل الأفراد والقادة الميدانيّين.

كانت خطّة الحرب في «أُحُد» تقتضي مرابطة فرقة من الرماة المتمرّسين في موقع محدّد لتأمين الحماية لظهور المجاهدين من عمليّة التفافيّة محتملة، وقد جاءت أوامر الرسول ﷺ واضحة،

(1) سورة الأحزاب، الآية 36.



دقيقة، حاسمة، في ضرورة البقاء في الموقع وعدم مغادرته، مهما كانت الظروف والأحوال: «قوموا على مصافكم هذا، فاحموا ظهورنا، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا»⁽¹⁾.

وقد انتهت الجولة الأولى بنصرٍ واضح، استطاع فيها المسلمون أن يُلْحِقُوا الهزيمة بالمشرِكين، فقتل أصحاب اللواء منهم، وانكشفوا منهزمين لا يلوون، ونساؤهم يدعون بالويل، ولحق بهم المسلمون يغيرون عليهم.

لكن سرعان ما تغيّر الموقف، وانقلبت الأمور، وتحول النصر إلى هزيمة، فكيف حدث ذلك؟

يحدثنا بعض من حضر المعركة في جيش المشركين، قال: «ضُيِّعَت الثغور التي كان بها الرماة، وجاؤوا إلى النهب، والرماة ينتهبون، فلمّا دخلت خيلنا دخلت على قوم غازين آمنين، فوضعوا فيهم السيوف... وتفرّق المسلمون في كلّ وجه، وتركوا ما انتهبوا...»⁽²⁾.

ذكر بعض كتّاب السيرة أنّ بعض الرماة بعد أن رأوا النصر غرهم ذلك، وغلب عليهم الطمع والرغبة في الفوز بالغنيمة، فدعوا أصحابهم إلى النزول، واعتبروا أنّ المعركة انتهت، وعلى الرغم من تحذير الثلّة القليلة منهم، وتذكيرهم بما أمر به رسول الله ﷺ، لم يلتزموا، وعصوا الرسول ﷺ وخالفوا أمره، ولم يكن القلّة

(1) ابن سعد، محمّد، الطبقات الكبرى، إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ/1996م، ط1، ج3، ص475.

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج14، ص242.



الذين صمدوا هناك قادرين على صدِّ الهجوم الالتفافي الذي فاجأ الجيش الإسلامي على حين غرة، حيث كان المسلمون غافلين غير مستعدين، وكانت تنقصهم الجهوزية اللازمة للمواجهة؛ ممَّا أدى إلى تضييع النصر، وإيقاع الخسائر الفادحة في الأنفس، وتعرض الرسول ﷺ إلى الخطر، حيث جرح رسول الله ﷺ، ولم يصمد للدفاع عنه إلا الإمام عليّ ﷺ، على أصحِّ الأقوال.

هذا الدرس لا يختصّ بالموقف آنذاك، بل هو درس عامّ، يمكن أن يحدث في أيّ مواجهة، فالطاعة التامة والتقيّد بالتفاصيل الدقيقة لحظة القتال وأوامر القيادة لا محيص عنه، وليس معنى ذلك المنع من إبداء الرأي ومن التعبير، لكن لكلِّ مقامه، فإنّه بالإمكان التعبير عن مكنونات الرأي وعن وجهة النظر، ومناقشة التفاصيل كلّها في مرحلة النقاش والتحضير والإعداد، ويمكن لمن يخالف أن يعتزل المعركة ابتداءً (كما فعل بعض المسلمين في «أُحُد»؛ أمّا في الميدان وعند المواجهة، فلا بدّ من الالتزام بدقّة، والطاعة التامة؛ تحقيقاً لتماسك الجبهة وصلابة الموقف، ولسدّ أيّ ثغرة يمكن أن يستغلّها العدوّ للنفوذ من خلالها والإيقاع بنا.

دور المنافقين أعداء الداخل

كان للمنافقين وبعض اليهود في معركة أُحُد دورٌ بارزٌ في تخاذل المسلمين، ثمّ الشماتة بعد انتهاء المعركة. فقد عمل بعض المنافقين على تخويف المسلمين من قريش، وحاولوا إقناعهم

بالعودة إلى المدينة قبل احتدام القتال، وبالفعل عاد جمعٌ منهم يقودهم أحد المنافقين تحت ذرائع مختلفة، مستغلين الاختلاف الذي حصل في وجهات النظر حول كَيْفِيَّةِ المواجهة.

وقد كان رسول الله ﷺ منذ البداية يتعاطى بحذر مع هذه الشريحة، فأحاط خطته بشيء من السريّة، فلم يُظهر نيّته بالخروج، ولم يُحدّد لهم جهة الخروج إلّا في اللحظات الأخيرة، بل أمر بكتمان المعلومات التي كانت تصل عن جيش العدوّ وعددهم وعدّتهم؛ خشية استغلالها من قِبَل المنافقين والمهود في الحرب النفسيّة التي عملوا على تسعييرها من خلال إشاعة أجواء الخوف.

ولا شكّ في أنّ أعداء الداخل يشكّلون خطراً لا يقلّ عن أعداء الخارج، إنّ لم يكن أشدّ في كثير من الأحيان؛ لأنّهم يرصدون ويتعرّفون إلى مواطن القوّة والضعف، ويتحوّلون إلى عيون للعدوّ، وأدوات فتكٍ مباشر، بعيداً عن الأنظار، ومن حيث لا يمكن رصدتهم. أعداء الداخل يساعدون العدوّ الخارجيّ على تحديد الأهداف والثغرات ومواطن الخلل، وينشرون الإشاعات، ويبثّون الأكاذيب بين الناس؛ ممّا يساهم في إشاعة الخوف والهزيمة النفسيّة؛ الأمر الذي يُثبّت العزيمة، ويُضعف الإرادة عند عوامّ الناس وبسطائهم.

قال -تعالى- مخاطباً هذا الفريق بلغة التهديد: ﴿لَّيْن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُتَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾.

(1) سورة الأحزاب، الآية 60.

ومهما يكن، فقد أظهرت معركة أُحُد واقع الذين تأمروا مع العدو، والذين أظهروا الشماتة والفرح بما أصاب المسلمين، ولكن ذلك على الرغم من قساوته، شكّل فرصة لفرز المنافقين وأعداء الداخل وكشفهم وافتضح أمرهم، حيث راهنوا على قتل النبي ﷺ وانتهاء أمر المسلمين، فكانت الخطوة اللاحقة تأديب هؤلاء والانهاء من أراجيفهم ومؤامراتهم.

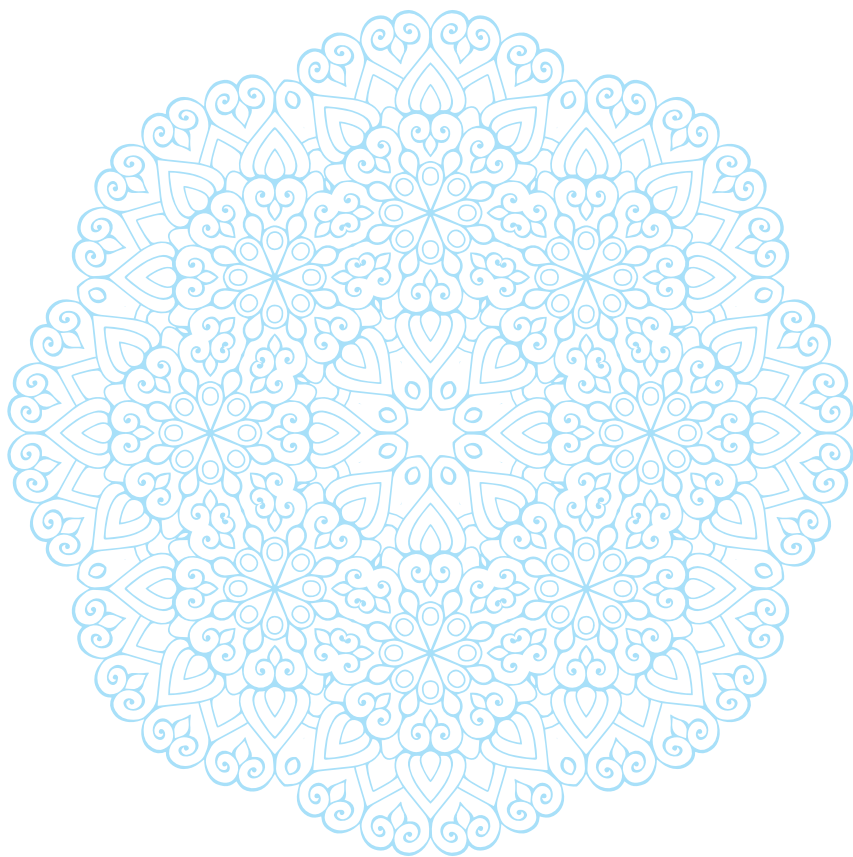
﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾⁽¹⁾.

هذا غيض من فيض الدروس والعبر التي يمكن استقاؤها من معركة أُحُد، وما أشبه اليوم بالأمس.



الفصل السادس

ظاهرة الإساءة إلى الرسول الأكرم ﷺ والأنبياء ﷺ
وكيفية مواجهتها



تمهيد

قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

لا شك في أنّ من أعظم النعم الإلهية على الإنسان نعمة الهداية والتوفيق لمعرفته، وفتح الطريق أمامه للسموّ والارتقاء في مدارج الكمالات الروحية والملكوتية، للوصول الى درجة المقربين منه، هذه النعمة بها يسود الإنسان على كافة المخلوقات، وبها أسجد الله ملائكته لأبي البشرية آدم عليه السلام.

وقد بعث الله الرسل والأنبياء وأنزل معهم الكتب والشرائع في إطار هذه النعمة العظيمة، والآيات القرآنية تشير إلى هذا المعنى، حيث يقول - تعالى -: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾⁽²⁾.

الأنبياء قحوة الناس

لا شك في أنّ المعلم لا بدّ من أن يكون عالماً، إلا أنّ العالم

(1) سورة الأنبياء، الآية 107.

(2) سورة آل عمران، الآية 164.



قد لا يتمكن من أن يتحوّل إلى معلّمٍ ومربٍّ ما لم يمتلك مهارات وقدرات إضافية تمكنه من نقل علمه ومعرفته إلى الآخرين، وتمكّنه من توفير الاستعدادات عند المتعلّمين، ومن إعادة صياغة بنيّتهم الفكرية، ومن تغيير مواقفهم واتّجاهاتهم السلوكية نحو الهدف الذي يحدّده، وإذا ذهبنا إلى التربية والتزكية والتأثير الروحيّ فالمسألة أوضح، والقاعدة الفلسفية تقول: إنّ فاقده الشيء لا يعطيه.

وبناءً عليه، فإنّه لا يمكن للفاسد أن يكون مصلحاً وإن كان عالماً، ولا يمكن للمنحرف أن يتولّى مهمّة تقويم الآخرين، ولا يمكن لمن يفتقد الطهارة أن يقوم بتزكية الناس وتطهير نفوسهم.

من هنا ندرك سرّ اختيار الأنبياء وعلى أيّ أساس يتمّ ذلك، فلا يختار الله النبيّ لأنّه ابن نبيّ، فهو يختار لرسالاته أفضل أهل زمانهم، وأكملهم عقلاً، وأطهرهم نفساً، وأبعدهم عن الهوى، وأقربهم إلى التقوى، وأكثرهم قوّة في مقاومة الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء؛ وبعبارة أخرى فهم «الذين عصموا أنفسهم عن الذنوب والمعاصي فعصمهم الله وأعانهم وسدّدهم».

إنّ الله -تعالى- لا يأمر الناس بسلوك طريق قبل أن يبعث فيهم من يسلك بهم ذلك الطريق، ليقتدوا به ويتأسّوا، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁽¹⁾.

ويشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك، فيقول مخاطباً المسلمين: «والله ما أمرتكم بطاعة إلا وقد انتمرت بها ولا نهيتكم عن معصية إلا وقد انتهيت عنها»⁽¹⁾، وهو منح المعصومين ككلّ، فالرسول المبعوث يجسّد الرسالة بكلّ دقّة قبل دعوة الناس إليها، يجسّد أخلاق الرسالة وقيّمها، ويُقدّم أنموذجاً حياً كاملاً للإنسان الذي تريده الرسالة في فكره وسلوكه ومشاعره وعبادته وحكمته وتديبره وسجاياه الأخلاقيّة...

هذا هو السرّ في بعثة الأنبياء الذين اختارهم الله -تعالى-؛ لأنّهم كانوا يمثّلون القدوة والمثال، فهم أكمل الناس عقولاً، وأطهرهم نفوساً، وأقومهم مسلّكاً، وأصدقهم لساناً، وأصوبهم فعلاً، وأكرمهم أخلاقاً، وأكثرهم ثباتاً واستقامة. ولا يدعون الناس إلى خير إلا ويسبقونهم إليه، ولا يأمرونهم بمعروف إلا ويجسّدونه بفعالهم قبل قولهم؛ وهذا الأمر هو الذي منحهم الأهلّيّة لقيادة عمليّة تغيير الواقع الفاسد وإصلاح البشريّة التي كانت دائماً هدفاً أساسياً للرسالات السماويّة.

لماذا الإساءات المتكرّرة إذاً؟

منذ خلق الله آدم عليه السلام وأمر الملائكة للسجود له لإظهار كمال هذا المخلوق ومكانته عند الله، أشهر إبليس عداوته له ولذريّته، فقال كما حكاه القرآن الكريم: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ

(1) المشهدي، كنز الدقائق، مصدر سابق، ج 3، ص 195.



لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُ فِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٨﴾ (١).

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٠﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢١﴾﴾ (٢).

ومن المعروف أنّ إبليس اتخذ من أتباعه وضحاياه جنوداً
سخرهم لهذه الغاية. ومن أهمّ وسائل الإضلال، الحيلولة بين
الإنسان وبين مصادر الهداية، إمّا عن طريق تزيين الدنيا والملذّات،
وإمّا عن طريق إثارة الشبهات وحرّف الإنسان عن الحقيقة، وإيقاعه
في الضلال والانحراف الفكريّ والعقائديّ. وقد يتمّ اللجوء إلى
تشويه صورة المبعوثين للهداية ونماذج الطهر والصلاح، وإيجاد
الحاجز النفسيّ بينهم وبين الناس لإفقادهم القدرة على التأثير؛
ولهذا نجد أنّ الأنبياء ﷺ كانوا يتعرضون لحملات التشويه
دائماً، كالاتهام بالجنون وأمثال ذلك ممّا يصبّ في خانة تحقيق هذا
الهدف، خاصّة بعد العجز عن مواجهة الحقيقة بالمنطق والدليل،
والعجز عن منع المسيرة بالقوّة بمختلف وسائلها.

وعصرنا الحاضر لا زال يشهد هذا الصراع، فلا زال معسكر
إبليس يُمنّي بنكسة بعد أخرى، وهو يرى تصاعد الإقبال على
الرسالة، وتقدّم المؤمنين إلى الأمام في إرساء قواعد الدين،
واكتساب الحصانة وقوّة المواجهة التي ترعهم، فعاد لاستخدام
كافة الوسائل لإسقاط المبدأ عن طريق إسقاط رموزه، وتشويه
الجوانب المشرقة والجاذبة في هذا الدين، وجعل أتباعه يشعرون

(1) سورة الأعراف، الآيتان 16-17.

(2) سورة ص، الآيتان 82-83.

بالمهانة والنقص والضعف والذلّ. وفي هذا السياق تأتي الإساءة إلى القرآن الكريم وإلى الرسول الأكرم ﷺ بمختلف الوسائل الهابطة أخلاقياً (روايات مشوّهة للواقع، وصور كاريكاتورية، وأفلام)، وكيال الاتّهامات الباطلة، وإثارة الفتن والنعرات بين أتباع الديانات والمذاهب وغير ذلك.

مواجهة الحملات

ومن هنا، فإنّ الأمة كلّ الأمة معنيّة بتحمّل المسؤولية، والانخراط في المواجهة الواعية؛ أي ضمن مخطّط مدروس يؤدّي إلى إسقاط أهداف هذه الحملات. والمؤسسات التربويّة تتحمّل جزءاً من هذه المهمّة، وعليها أن تعمل على اتّجاهات عدّة:

- 1 - التعريف بالصورة الحقيقيّة المشرقة للرسول ﷺ وما وصفه الله -تعالى- به، وما دوّنته كتب السيرة والحديث من حميد سجاياه، ورفيع أخلاقه، وجميل مواقفه وصنائعه ممّا جعله محلاً لثناء المولى عليه، ووضعه في موضع الأسوة والقُدوة، وأهله لحمل الرسالة.
- 2 - زرع محبّته ومودّته في قلوب المتعلّمين، وتعظيمه واحترامه، بوسائل متنوّعة عدّة، وهي متاحة، وهذا من شأنه أن يبعث فيهم الشعور بالمسؤوليّة وعدم الرضى بالإساءة.
- 3 - تربية التلامذة على أساليب المواجهة الناجحة التي تُفشل عمل الأعداء، وتُسقط أهدافهم وتخيب آمالهم، دون الوقوع بما قد



يُشكّل إساءة أخرى غير مباشرة، أو يُغري بالمزيد من الإساءات، ودون الوقوع بما يخالف المبادئ والأخلاق التي أمرنا بها الرسول نفسه وجاء بها القرآن الكريم.

4 - الحذر من مواجهة الإساءة إلى الرسول ﷺ أو القرآن بالإساءة إلى أنبياء ومقدّسات يتبنّاها المسيئون ولو كان بالظاهر، بل تكريس الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب المنزل عليهم كما أنزلت، والتعامل مع الإساءة إلى باقي الأنبياء بالموقف نفسه، الراض للإساءة إلى رسولنا الأكرم ﷺ.

5 - بعد ذلك يأتي دور المدرسة في المشاركة بالأنشطة التي تقرّها القيادات الدينيّة كجزء من الأمة.

نماذج أخلاقيّات الرسول ﷺ (1)

1. محبة الناس والحرص عليهم:

قال -تعالى-: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (2).

وخاطب -تعالى- رسوله ﷺ قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (3).

(1) وجدنا أنّ سماحة الشيخ أرفق هذه الفقرة المتقدمة سابقاً مع مقالة ظاهرة الإساءة: ولذا أبقيناها.

(2) سورة التوبة، الآية 128.

(3) سورة القلم، الآية 4.

وقال له:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾⁽¹⁾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾⁽²⁾.

﴿لَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾⁽⁴⁾.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوْءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾⁽⁵⁾.

ومع ما تقدم كله، يوصيه المولى -عز وجل- بالمؤمنين، فيقول له: ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁶⁾.

2. التواضع واللين:

عَنِ الْإِمَامِ الرِّضَا عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي أَنَا مَلِكٌ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ رَبِّكَ يَقْرُنُكَ السَّلَامُ وَيَقُولُ: إِنْ

(1) سورة آل عمران، الآية 159.

(2) سورة الكهف، الآية 6.

(3) سورة الشعراء، الآية 3.

(4) سورة النمل، الآية 70.

(5) سورة فاطر، الآية 8.

(6) سورة الشعراء، الآية 215. (واخفض جناحك) ألن جانبك.



شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهابا. قال: فرفعت رأسي إلى السماء وقلت: يا رب أشبع يوما فأحمدك، وأجوع يوما فأسألك»⁽¹⁾.

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يأكل أكل العبد، ويجلس جلسة العبد، وكان يأكل على الحضيض، وينام على الحضيض»⁽²⁾.

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية، قال: ولم يسط رسول الله ﷺ رجله بين أصحابه قط، وإن كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله ﷺ يده من يده حتى يكون هو التارك، فلما فطنوا لذلك كان الرجل إذا صافحه قال بيده فزعه من يده»⁽³⁾.

عن العيص بن القاسم، قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: حديث يروى عن أبيك عليه السلام أنه قال: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز بر قط، أهو صحيح؟ فقال: لا، ما أكل رسول الله ﷺ خبز بر قط، ولا شبع من خبز شعير قط»⁽⁴⁾.

وعن جعفر عن أبيه عليه السلام: «أن رسول الله ﷺ لم يورث ديناراً ولا درهما، ولا عبداً ولا وليدة، ولا شاة ولا بعيراً، ولقد قبض رسول الله ﷺ وإن درعه مرهونة عند يهودي من يهود المدينة

(1) الشيخ المفيد، الأمالي، مصدر سابق، ص 124.

(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 6، ص 271.

(3) المصدر نفسه، ج 2، ص 671.

(4) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص 398.

بعشرين صاعاً من شعير، استسلفها نفقة لأهله»⁽¹⁾.

عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ خمسٌ لستُ بتاركهنَّ حتَّى الممات لباس الصَّوف، وركوبي الحمار مؤكفاً، وأكلي مع العبيد، وخصفي النعل بيدي، وتسليحي على الصَّبيان لتكون سنة من بعدي»⁽²⁾.
عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: «كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِبَاءَةً وَكَانَتْ مِرْفَقَتُهُ أَدَمَ حَشْوَهَا لَيْفٌ...»⁽³⁾.

3. أسلوبه في تربية الناس:

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ يَهُودِيًّا كَانَ لَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَنَانِيرُ فَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا يَهُودِيٌّ مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ، فَقَالَ: فَإِنِّي لَا أَفَارُقُكَ يَا مُحَمَّدٌ حَتَّى تَقْضِيَنِي، فَقَالَ: إِذَا أَجْلَسْتُ مَعَكَ، فَجَلَسَ مَعَهُ حَتَّى صَلَّى فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ وَالْغَدَاةَ، وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَدَّدُونَهُ وَيَتَوَاعَدُونَهُ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا الَّذِي تَصْنَعُونَ بِهِ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَهُودِيٌّ يَحْبِسُكَ! فَقَالَ عليه السلام: لَمْ يَبْعَثْنِي رَبِّي -عَزَّ وَجَلَّ- بِأَنْ أَظْلِمَ مُعَاهِداً وَلَا غَيْرَهُ، فَلَمَّا عَلَا النَّهَارُ قَالَ الْيَهُودِيُّ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَشَطْرُ مَالِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ بِكَ الَّذِي فَعَلْتُ إِلَّا لِأَنْظُرَ إِلَى نَعْتِكَ فِي التَّوْرَةِ، فَإِنِّي قَرَأْتُ نَعْتَكَ فِي التَّوْرَةِ

(1) الحميري، قرب الاسناد، مصدر سابق، ص 92.

(2) الشيخ الصدوق، الخصال، مصدر سابق، ص 272.

(3) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص 552.

مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجَرُهُ بِطَيْبَةَ وَلَيْسَ بِفَضٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ وَلَا مُتَزَيِّينَ بِالْفُحْشِ وَلَا قَوْلِ الْخَنَاءِ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَهَذَا مَالِي فَأَحْكُمُ فِيهِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَكَانَ الْمُؤَدِّي كَثِيرَ الْمَالِ»⁽¹⁾.

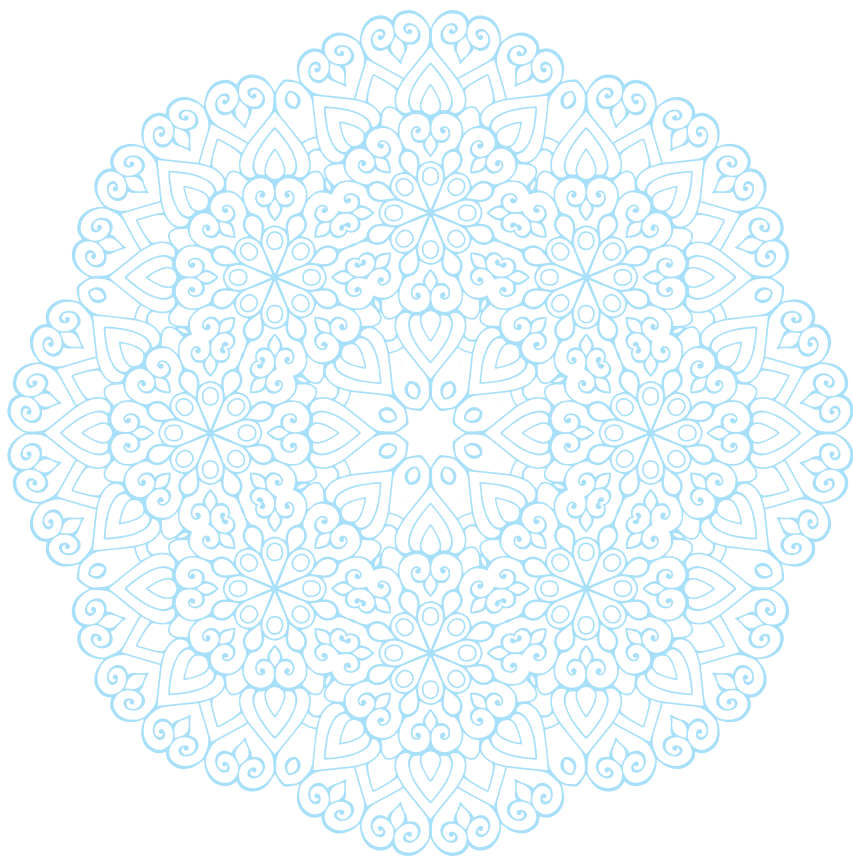
عن الباقر عليه السلام قَالَ: «جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَائِلٌ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ مِنْ أَحَدٍ عِنْدَهُ سَلَفٌ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي الْجَبَلِيِّ فَقَالَ: عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَعْطِ هَذَا السَّائِلَ أَرْبَعَةَ أَوْسَاقٍ تَمْرٍ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ بَعْدُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ لَهُ: يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ: قَدْ أَكْثَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ قَوْلٍ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ: هَلْ مِنْ رَجُلٍ عِنْدَهُ سَلَفٌ؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَكَمْ عِنْدَكَ؟ قَالَ: مَا شِئْتُ، قَالَ: فَأَعْطِ هَذَا ثَمَانِيَةَ أَوْسُقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: إِنَّمَا لِي أَرْبَعَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَرْبَعَةٌ أَيْضًا»⁽²⁾.

(1) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص 551.

(2) الحميري، قرب الأسناد، مصدر سابق، ص 90.

الفصل السابع

**العلاقة بين النبي الأكرم ﷺ والإمام عليّ عليه السلام
وانعكاساتها على الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي**



تمهيد

لم يحظَ أحد من المسلمين بما حظي به الإمام عليّ عليه السلام من مكانة عند رسول الله ﷺ، فقد خصّه بعنايته ورعايته منذ ولادته عليه السلام في الكعبة المشرفة، وعلى امتداد السنوات التي سبقت البعثة المباركة وتلتها. هذه العلاقة الخاصة والمميّزة لم تكن وليدة الظروف الاقتصادية أو الاجتماعية، وإنما هي علاقة راسخة لها أهدافها المرتبطة بالرسالة، وحفظها وتبليغها، فهي علاقة جاءت في إطار الإعداد الروحي والإعداد العلمي والفكري للإمامة.

العلاقة بين النبي الأكرم ﷺ والإمام عليّ عليه السلام في النصوص

إنّ النصوص التي تحدّثت عن هذه العلاقة كثيرة، ومنها:

ما ورد عن الإمام عليّ عليه السلام في وصف علاقته برسول الله ﷺ، حيث قال: «... وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ،



يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمَسِّسُنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّيُنِي عَرَفَهُ، وَكَانَ يَمْضَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُونِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ.

وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لِيَلْهُ وَنَهَارَهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءٍ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوءَةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا هَذِهِ الرَّنَةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ.

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ﷺ لَمَّا آتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ أَبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عِلْمَنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عِلْمَنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيثُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنْ

فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ وَمَنْ يُحَرَّبُ الْأَحْزَابَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ فَأَنْقَلِعِي بِعُرْوَتِكَ حَتَّى تَقْفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرْوَتِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُرْفَرَفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكَبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ ﷺ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا -عُلُوءًا وَاسْتِكْبَارًا-: فَمَرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا -كُفْرًا وَعُتُوًّا-: فَمَرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ ﷺ فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ بَأْنَ الشَّجَرَةِ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ -تعالى-، تَصَدِيقًا بِنُبُوتِكَ، وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السَّحْرِ، خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا! يَعْزُونَنِي.

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، سَيَمَاهُمْ سَيِّمًا الصِّدِّيقِينَ، وَكَالَمَهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ، عُمَارَ اللَّيْلِ، وَمَنَارَ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ يُحْيُونَ سُنْنَ اللَّهِ وَسُنْنَ رَسُولِهِ ﷺ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلُونَ وَلَا يَغْلُونَ وَلَا يُفْسِدُونَ قُلُوبَهُمْ فِي الْجَنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ»⁽¹⁾.

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، الخطبة 192، وتسمى القاصعة.



وَيَصِفُ ﷺ بَعْضَ مَا خَصَّهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ: «... وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْأَلُهُ عَنِ الشَّيْءِ فَيَفْهَمُ، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُهُ وَلَا يَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَسْمَعُوا.

وَقَدْ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلَّ يَوْمٍ دَخَلَهُ وَكُلَّ لَيْلَةٍ دَخَلَهُ، فَيُخَلِّينِي فِيهَا أَدُورَ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ، وَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي، فَرُبَّمَا كَانَ فِي بَيْتِي يَأْتِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْثَرُ ذَلِكَ فِي بَيْتِي، وَكُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ مَنَازِلِهِ أَخْلَانِي وَأَقَامَ عِنِّي نِسَاءَهُ، فَلَا يَنْقُ عِنْدَهُ غَيْرِي، وَإِذَا أَتَانِي لِلْخُلُوةِ مَعِي فِي مَنْزِلِي لَمْ تَقُمْ عِنِّي فَاطِمَةُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي، وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُهُ أَجَابَنِي، وَإِذَا سَكْتُ عَنْهُ وَفَنَيْتُ مَسَائِلِي ابْتَدَأَنِي، فَمَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْرَأَنِيهَا وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ، فَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي، وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا، وَنَاسَخَهَا وَمَنَسُوخَهَا، وَمُحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُعْطِينِي فَهْمَهَا وَحِفْظَهَا، فَمَا نَسِيتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا عِلْمًا أَمْلَاهُ عَلَيَّ وَكَتَبْتُهُ مُنْذُ دَعَا اللَّهَ لِي بِمَا دَعَا، وَمَا تَرَكَ شَيْئًا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ كَانَ أَوْ يَكُونُ وَلَا كِتَابٍ مُنْزَلٍ عَلَيَّ أَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا عَلَّمَنِيهِ وَحَفِظْتُهُ، فَلَمْ أَنْسَ حَرْفًا وَاحِدًا، ثُمَّ وَضَعَ يَدُهُ عَلَى صَدْرِي، وَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَمْلَأَ قَلْبِي عِلْمًا وَفَهْمًا وَحُكْمًا وَنُورًا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مُنْذُ دَعَوْتَ اللَّهَ لِي بِمَا دَعَوْتَ لَمْ أَنْسَ شَيْئًا، وَلَمْ يَفْتِنِي شَيْءٌ لَمْ أَكُتِبْهُ، أَفَتَتَخَوَّفُ عَلَيَّ النَّسِيَانُ فِيمَا بَعْدُ، فَقَالَ: لَا، لَسْتُ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ النَّسِيَانُ وَالْجَهْلُ...»⁽¹⁾

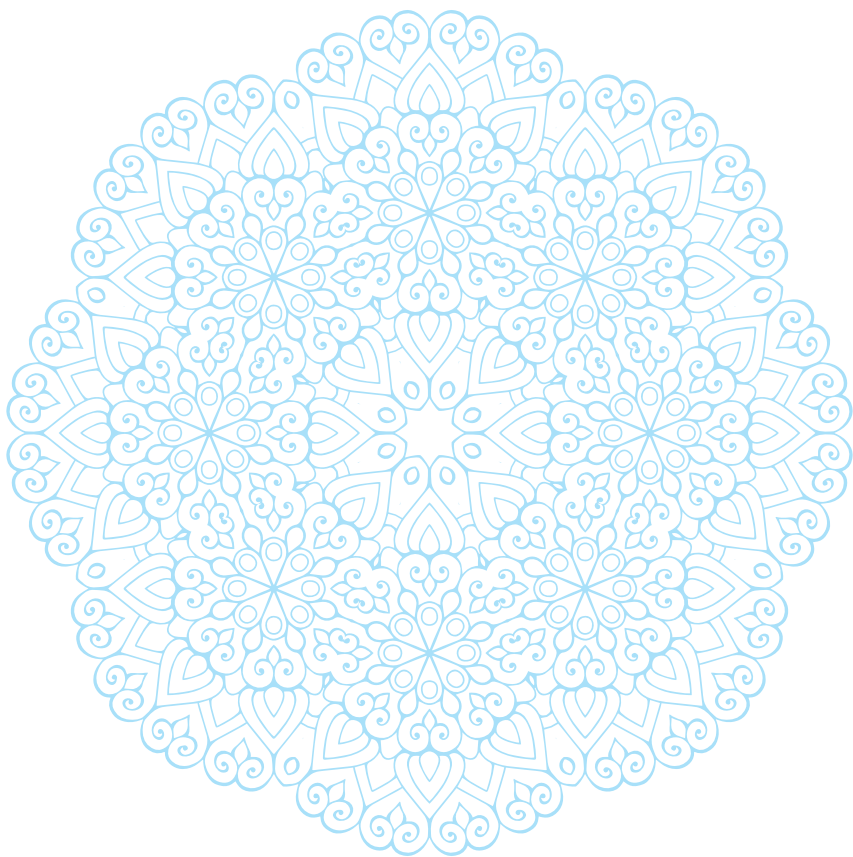
بركات هذه العلاقة الخاصة وثمراتها

1. إيداع الإمام علي ﷺ جميع علوم النبوة، ما يرتبط منها بالكتاب المنزل، وما يرتبط بالشريعة؛ ما جعله الباب المؤدي إلى مدينة علم الرسول ﷺ، كما ورد في الحديث الصحيح المتواتر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بآبها، فمن أراد المدينة فليأتها من بآبها»⁽¹⁾.
2. تدوين السنة النبوية الشريفة بإملاء رسول الله ﷺ وخطّ عليّ ﷺ فيما أطلق عليه اسم الصحيفة الجامعة أو كتاب عليّ، وفيها ما يحتاج إليه الناس كلّ إلى يوم القيامة حتّى أرش الخدش⁽²⁾.
3. قال ﷺ: «علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم، يفتح لي كلّ باب ألف باب»⁽³⁾.

(1) راجع مصادر وطرق حديث: «أنا مدينة العلم وعليّ بآبها»: الميلاني، عليّ، خلاصة عبقات الأنوار، مؤسسة البعثة، طهران، 1405 هـ، لا ط: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، لا م، 1415 هـ / 1995 م، لا ط، ترجمة الإمام عليّ ﷺ، الجزء الثالث: قتي، أصغر ناظم زاده، لفصول المائة في حياة أبي الأئمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: من ولادته إلى زواجه، مع حروبه، منشورات أنوار الهدى، قم، 1411 هـ، لا ط، ج 3، ص 509-520.

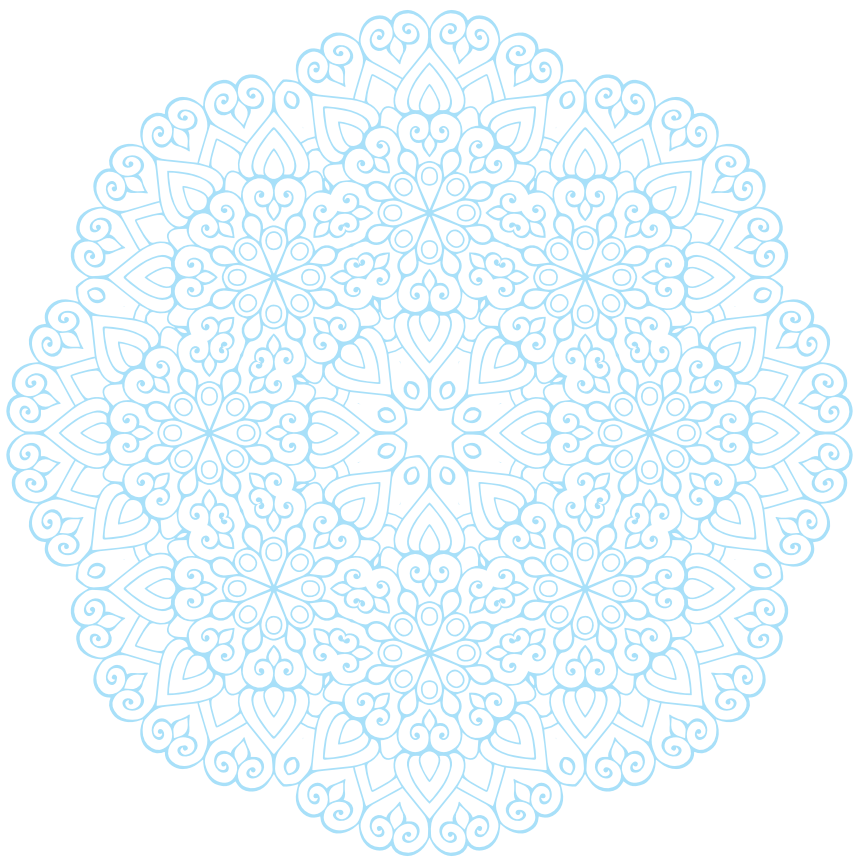
(2) راجع روايات الصحيفة الجامعة ومصادرها في كتابنا الموسوم: كتاب عليّ ﷺ والتدوين المبكر للسنّة النبوية الشريفة، الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة.

(3) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص 737.



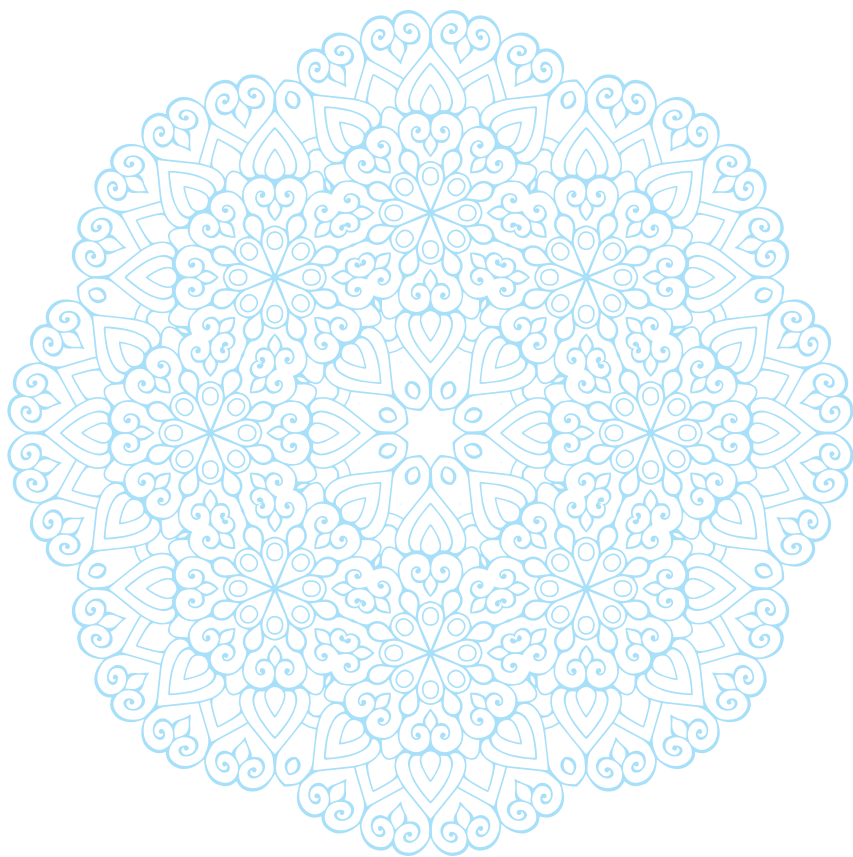
الباب الثاني

أهل البيت عليهم السلام



الفصل الأوّل

محاوّر خطبة السيّدة الزهراء عليها السلام ودلالاتها



تمهيد⁽¹⁾

لا تُقاس غزارة العلم بكثرة الآثار الواردة، ولا تتوقّف معرفة القدرات الفدّة على الكثير من الاختبارات والممارسات، فقد تكشف الكلمات القليلة عن معدن علم مكنون، وقد يظهر النزر اليسير من الأفعال والأقوال عظيم القدرات والإمكانات.

سيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام عاشت قليلاً ورحلت سريعاً، ولم يورد لنا التأريخ -مع الأسف- كثيراً من آثارها، وعلى الرغم من ذلك كلّها بلغت الذروة في كمال ذاتها، وصفاء جوهرها، وعظيم فضلها، وغزير علمها.

(1) راجع: يوجد تفاوت يسير بين المصادر في نص الخطبة، راجع: الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران - قم، 1413، ط1، ص111 (عن زيد بن علي، عن أبائه عليهم السلام؛ الطبرسي، الشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، تعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، العراق - النجف الأشرف، 1386 هـ - 1966 م، لا ط، ج1، ص132؛ المشغري العاملي، يوسف بن حاتم الشامي، الدر المنظّم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، لا ت، لا ط، ص466.

حسبنا في ذلك ما جاء به الذكر الحكيم من آيات المدح والثناء، وما تكررّ على لسان أبيها الرسول الأعظم ﷺ في أكثر من مناسبة ومقام؛ في شأنها وفي بيان منزلتها وفضلها، وهو الذي لا ينطق عن الهوى.

ولو لم يكن بين أيدينا من آثارها إلا الخطبة الشهيرة التي جادت بها في أواخر أيام حياتها، لكفى بها دليلاً ساطعاً وبرهاناً قاطعاً على أنّها فرعٌ من تلك الدوحة المباركة، وأنّها قد حظيت بفضل وعلمٍ ومنطقٍ، لا تجد مثلها إلا في البيت النبويّ المبارك المخصّص بالتطهير، والمسدّد بالوحي والتنزيل.

الأبعاد السياسيّة للخطبة

جاءت خطبة السيّدة الزهراء ﷺ في سياق تاريخيّ مفعم بالأحداث المؤلمة، وفي سياق حركة احتجاج أطلقتها السيّدة الزهراء ﷺ بعد رحيل رسول الله ﷺ عن هذه الدنيا الفانية، وبعد إقصاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ عن حقّه السياسيّ ومقامه الذي أقامه الرسول ﷺ فيه، وبعد الحصار الاقتصاديّ الذي فرض على أهل البيت النبويّ ﷺ، والذي كان من أشكاله مصادرة مقاطعة «فدك»، وهي المقاطعة التي منحها الرسول ﷺ قبل وفاته بفترة غير قصيرة لكريمته السيّدة فاطمة الزهراء ﷺ في خطوة احترازيّة -على ما يبدو- ناظرة إلى هذه المرحلة العصيبة التي سيكون فيها وصيّ وخليفته بحاجة إلى

بعض مصادر التمويل. وقد بلغها عليها السلام مصادرة «فدك» وإخراج وكيلها منها، فخرجت للمطالبة بها، ودخلت في خصومة من أجلها. هذه الخطبة لم تكن خطوتها الأولى في هذا الخصام، فقد سبقتها بالمطالبة وبإقامة الشهود والبيّنات على ملكيتها لها، لكنّ الشهادة رُدّت، والبيّنات رُفِضت، على الرغم من عدالة الشهود ووضوح البيّنات، فحوّلت عليها السلام عنان القضية من المطالبة بالميراث الثابت بأصل الشريعة وبنصّ القرآن، فجاءت الخطبة في دائرة الاستدلال على الميراث.

والجدير بالذكر، أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تريد من خلال الخطبة ما هو أبعد من المطالبة بالحقّ المادّي، وإن كان هذا الحقّ يشكّل عنصراً مهماً في الحركة السياسيّة؛ باعتباره أحد فروع العصب الاقتصاديّ المؤثّر في الواقع السياسيّ، فقد جعلت السيدة الزهراء عليها السلام من الخطبة مناسبة لتحريك الأمة، وتعبئة الأنصار على الخصوص، وفضح الانحرافات القائمة عن الدين وأحكامه، وذكّرتهم بوصيّة الرسول ﷺ ومكانة عليّ عليه السلام ومنزلته ودوره في إرساء دعائم الدين وجهاد المشركين.

وهذا الأمر يكشف عن دور الزهراء عليها السلام الفاعل والمؤثّر في الصراع السياسيّ آنذاك. ولا شكّ في أنّ مكانة السيدة الزهراء عليها السلام ومحلّها من رسول الله ﷺ قد شكّلا عامل قوّة وتأثير من شأنه أن يمنح حركتها وموقفها وكلامها بُعداً خاصاً في نفوس المسلمين.

محاور الخطبة

تضمّنت خطبة السيّد الزهراء عليها السلام مجموعة من الأمور التي ركّزت عليها وتناولتها بحديثها، ومن الممكن تقسيمها إلى المحاور الآتية:

المحور الأول: الحمد والثناء على الله - عزّ وجلّ -، والشكر على نِعَمه وآلائه، ثمّ الشهادتان؛ شهادة التوحيد ببيان رائع لحقيقة التوحيد وإخلاصه وعظيم صفات الباري - عزّ وجلّ -، والشهادة بالنبوّ لرسول الله صلى الله عليه وآله التي بها يكتمل الإسلام، بيّنت خلالها فضل الرسول صلى الله عليه وآله وفلسفة بعثة الأنبياء، وما يترتّب عليها من نتائج.

المحور الثاني: التذكير بوصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وما تركه فيهم من كتاب الله وعترته الأطهار، وكأنّه إشارة إلى حديث الثقلين الذي يأمر المسلمين بالتمسّك بالقرآن والعترّة النبويّة، وهو الحديث الذي كزّره رسول الله صلى الله عليه وآله في مواطن عدّة على ما ورد في النصوص، فقد ذكر ذلك أثناء حجّته الأخيرة، وفي حضرة جمع من الصحابة في حجرته التي قضى فيها أيّام مرضه الأخير. وكرّرت عليها السلام بيانها لهذه النقطة في خطبتها، لكنّها هنا أوردتها في سياق الشهادتين؛ لأنّ التمسّك بالثقلين بعد الإقرار بالشهادتين يمثّل الإيمان بالإسلام، والعمل بعد العلم، والانتقال من العقيدة إلى المنهج السلوكي.

المحور الثالث: تعرّضت فيه عليها السلام إلى فلسفة ما أمر الله به وما نهى عنه، ببيان دقيق وعبارة مُحكمة وبليغة، كشفت من

خلالها عن الغاية القصوى من تشريع الصلاة، والزكاة، والصيام، والحجّ، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك ممّا شرعه الله -تعالى- وأمر به، وما حرّمه ونهى عنه.

وهذا المحور من المحاور العظيمة المهمة التي تشكّل مصدراً من مصادر المعرفة بالنسبة إلينا، وهو يكشف عن مدى علمها ومستوى معرفتها وبلاغة منطقتها الذي يتعالى عن كلام البلغاء والحكماء.

المحور الرابع: التفتت عليها السلام إلى الناس من جديد، لتذكّركم بنفسها، فقالت عليها السلام:

«أيّها الناس، اعلّموا أنّي فاطمة وأبي محمّد، أقول عوداً وبدواً. ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً، **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**»⁽¹⁾، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عتيّ دون رجالكم...»⁽²⁾.

فلماذا تؤكّد السيّدة الزهراء عليها السلام على نسبها أمام القوم، ولماذا تعرّفهم بنفسها، على الرغم من أنّهم جميعاً يعرفونها حقّ المعرفة، ولماذا لم تبدأ بذلك في صدر خطبتها إذا كان ثمة حاجة إلى التعريف بنفسها؟!

(1) سورة التوبة، الآية 128.

(2) يراجع المصادر المتقدّمة حول الخطبة.



الانتساب هنا لم يكن بدافع التعريف قطعاً، ولم يكن بداعي الافتخار عليهم بنسبها، وإن كان هذا النسب غاية الفخر والاعتزاز والشرف والكرامة، لكنّها ﷺ -على ما يبدو- أرادت أن تمهّد لموضوع تريد أن تتعرّض له بما يشبه الدليل غير المباشر، فهي فاطمة تلك التي طالما حدّث رسول الله ﷺ بفضائلها وسجاياها، هي أمّ أبيها، هي سيّدة نساء العالمين، هي الحوراء الإنسيّة، هي وليدة بيت الوحي والنبوّه، هي المطهّرة من الرّجس، هي الشجرة الطيّبة.. وهذا كلّه يعطي لكلامها وقعاً خاصّاً، ويمنح مواقفها بُعداً ريادةً، ويجعل من الرّدّ عليها ومخاصمتها ومعاداتها ردّاً على ذلك كلّه، وإنكاراً لجميع ما ورد في شأنها، وتكذيباً لرسول الله ﷺ، الذي يؤذيه ما يؤذيها. وهذا ما فعله الإمام الحسين ﷺ عندما أعلن نسبه لأهل الكوفة يوم عاشوراء، فلا شكّ في أنّ ذلك ورد في سياق تأكيد الحجّة عليهم، وتشديد النكير على فعلتهم.

ثمّ ألحقت ذلك ﷺ بيان فضل رسول الله ﷺ وحقّه على المسلمين ومعاناته في سبيل هداية الأُمّة وإرساء دعائم الدين، تمهيداً للتذكير بما فعلوه بابتته وأهل بيته، على خلاف الأصول القاضية بحفظ الرجل في ولده، وردّ فضله وإحسانه بالإحسان إلى أهله.

ثمّ ذكّرت بدور ابن عمّها عليّ ﷺ في مؤازرة الرسول ﷺ وخوض غمار الحروب في سبيل الدفاع عن صرح الدين والقضاء على الشرك.

المحور الخامس: وفيه شرعت ﷺ في وصف حال الأُمّة

بعد رحيل رسول الله ﷺ ومخالفة الوصية، ودحضت حججهم الواهية التي تمسكوا بها لتبرير تلك المخالفة.

هذا المحور يدلّ على أنّها عليها السلام كانت قد خرجت إلى المسجد لهدفٍ تجاوز المطالبة بإرثها، إلى نصرة الإمامة، والاحتجاج على الناس، وتذكيرهم بوصايا الرسول الأكرم ﷺ فيما يرتبط بذلك. وقد ذكرنا في البداية أنّ المطالبة بالإرث ربّما كانت إحدى وسائل الانتصار لإمامة الإمام عليّ عليه السلام.

المحور السادس: الانتقال إلى قضية الميراث. وهنا أيضاً تظهر المقدرة الفائقة لفاطمة الزهراء عليها السلام في الاستدلال وإقامة الحجّة، فقد أوردت الدليل تلو الدليل، والآية بعد الآية على ما شرّع من التوارث بين الأرحام حتّى وإن كانوا من الأنبياء، وهو حكم عامّ يشمل هذه القضية ولا يوجد أيّ مانع من الموانع التي وضعها الشريعة، ولم يرد أيّ تخصيص فيها.

وفي مقابل الحجّة الواضحة والبرهان القاطع، لم يجد القوم إلّا دعوى الاستثناء من القاعدة وتخصيصها بغير الأنبياء، بإيراد نصّ مزعوم عن الرسول ﷺ، حيث رَوَوْا عنه أنّه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضّة ولا داراً ولا عقاراً، وإنّما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فهو لوليّ الأمر بعدنا...»⁽¹⁾.

(1) يراجع المصادر المتقدّمة حول الخطبة.

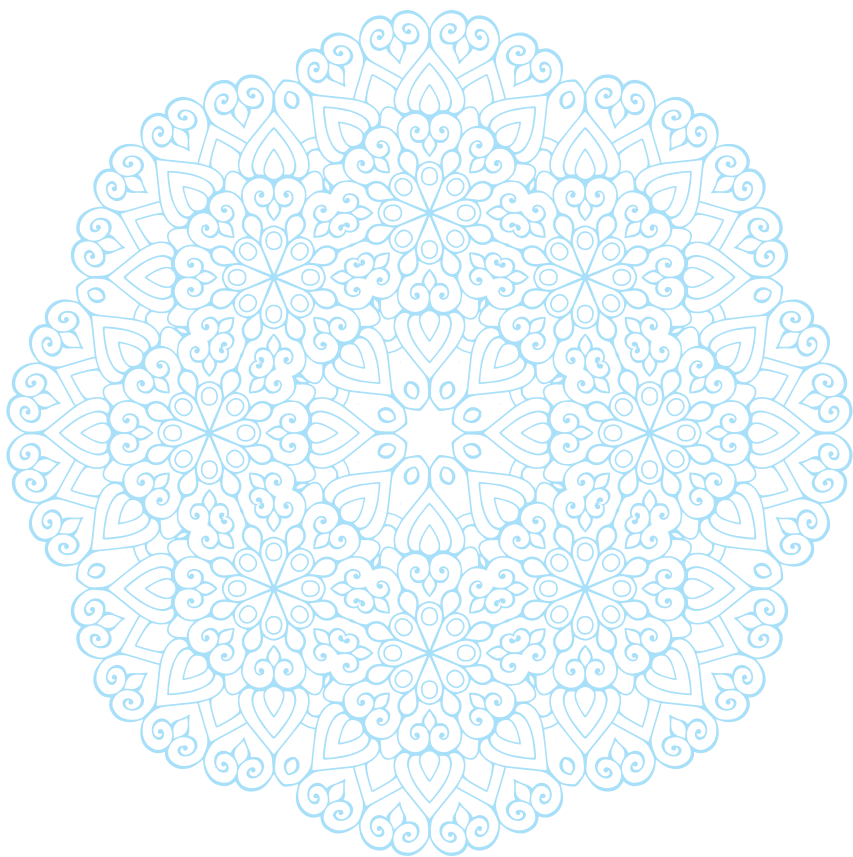


وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أمرين:

الأول: إنّ صريح كلام السيّد الزهراء عليها السلام في آخر الخطبة ينفي صدور هذا الكلام عن رسول الله ﷺ. وقد أشارت عليها السلام إلى القاعدة القائلة: إنّ ما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه، حيث قالت: «سبحان الله! ما كان رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتّبع أثره ويقفو سورَه، أفجتمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور؟!...»⁽¹⁾.

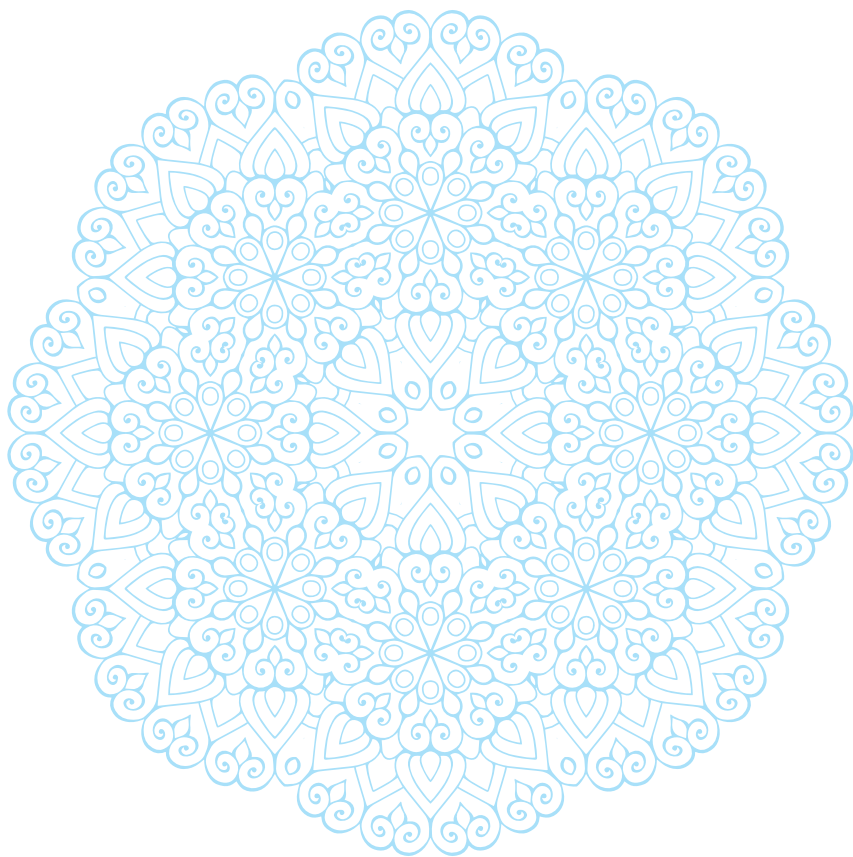
والثاني: إنّهُ حتّى ولو سلّمنا جدلاً بصحّة ما ورد، فكونه لوليّ الأمر من بعده، يعني أنّه لِمَن عيّنه ونصّبَه من بعده. هذا، مضافاً إلى أنّ الرسول ﷺ كان قد جعل فدكاً نحلة وهديّة للزهراء عليها السلام في حياته ولم تكن ميراثاً، وكانت بيدها عليها السلام، ولها وكيل يقوم بأمرها، فأخرج منها وطُلب من السيّد الزهراء عليها السلام أن تقيم البيّنة على أنّ رسول الله ﷺ قد نحلّها إيّاها، وهذه مخالفة صريحة لقواعد الحكم والقضاء الشرعيّ، حيث إنّها كانت صاحبة يد على الأرض، فهم المدّعون، وعليهم إقامة البيّنة بحسب الأصول والقواعد، ومع ذلك فقد رُدّت بيّنة السيّد الزهراء عليها السلام بحجّة أنّها تجرّ النار إلى قرصها، وهذا اتّهام لأهل البيت المعصومين عليهم السلام، ولأصحابهم الأتقياء.

المحور السابع: خصّصت فيه السيّدة الزهراء عليها السلام معاشر الأنصار بكلامها، فالتفتت إليهم مخاطبة إياهم بعبارات الاستصراخ والاستنهاض، وأنكرت عليهم أن تُسلب حقّها بينهم وهم ساكتون، ثمّ أنكرت عليهم قعودهم عن نصرّة عليّ عليه السلام، وتخلّهم عنه في ساعة العسرة والشدّة، وختمت كلامها بالتذكير بالموقف يوم القيامة وبِعذاب الله الشديد.



الفصل الثاني

السيدة الزهراء عليها السلام في ذكرى شهادتها



تمهيد

الحديث عن فاطمة الزهراء عليها السلام ذو شجون، فبين ولادتها في جمادى الآخرة بعد البعثة بخمس سنوات وبين وفاتها في جمادى الآخرة السنة الحادية عشرة للهجرة مدة ليست بالطويلة في حساب السنين والأيام، إلا أنها طويلة جداً، إذا قيسَت بالحوادث التي ازدحمت فيها والمحن والآلام التي رافقتها.

فقد رافقتها الهموم منذ نعومة أظفارها حتى لكأنها على موعد معها، وودّعت الدنيا دون أن تفارقها حتى لكأنها عاشت من أجلها.

الفترة الأبرز في تاريخ حياتها عليها السلام هي تلك المدة الممتدة بين رحيل والدها رسول الله ﷺ عن هذه الدنيا، وبين رحيلها هي ولحوقها بأبيها. هذه المدة لم تتجاوز خمسة وتسعين يوماً على أشهر الروايات، وفي بعضها خمس وسبعون يوماً، وفي رواية شاذة ستة أشهر. ومهما يكن فهي مدة قصيرة جداً، إلا أنها مليئة بالأحداث والمواقف المهمة التي تستحق الدراسة. فهذه الفترة من تاريخ الإسلام كانت غنية بالوقائع التاريخية التي شكّلت منعطفاً خطيراً في حياة الأمة الإسلامية لا زالت آثارها تتفاعل حتى هذا العصر، وستبقى كذلك حتى يأذن الله بظهور الحجة المنتظر عجل الله فرجه.



وأفضل ما يمكن لنا أن نقوم به في ذكرى رحيل هذه المرأة العظيمة، بل في ذكرى شهادتها، أن نتصفح كتاب حياتها عليها السلام، ونقف عند بعض النقاط المضيئة واللامعة، ونتناولها بالدرس والتحليل. ولحظات حياتها كلها مضيئة ولامعة، إلا أننا نأخذ ما تيسر وما وصل إلينا من ذلك، عسى أن نكون بذلك قد ساهمنا في إحياء هذه الذكرى.

مكانة الزهراء عليها السلام

سنتناول في هذه العجالة بعضاً مما يُلقى الضوء على مكانة فاطمة عليها السلام الرفيعة التي امتازت بها عن بقية نساء العالم حتى غدت قدوة البشرية، فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال لها قُبيل وفاته: «يا فاطمة، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين!»⁽¹⁾.

وقال في مورد آخر: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني، ومن آذاها فقد آذاني»⁽²⁾.

والبضعة: القطعة. وفاطمة عليها السلام لا تغضب إلا لله؛ ولأجل ذلك كان غضبها غضبه ﷺ، فالمسألة ليست مجرد قضية شخصية تنطلق من العاطفة والعصبية، كلاً إنها الرسالة التي

(1) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، العراق - النجف الأشرف، 1376هـ - 1956م، لا ط، ج 3، ص 137.
(2) المصدر نفسه، ص 112.

عاشها رسول الله ﷺ بكيانه كله، وعاشتها الزهراء عليها السلام كذلك بكيانها كله؛ فكان ما يغضبها يغضبه، وما يسرّها يسرّها، وما يؤذيها يؤذيها، وما يرضيها يرضيه، وما يسخطها يسخطه، وهكذا.

وقد تكرر من الرسول ﷺ بيان ذلك والتأكيد عليه في مواطن ومناسبات عدّة.

قد يُسأل عن الغاية من التركيز على بيان الفضائل، وخاصة فضائل أهل بيت رسول الله الكرام عليهم السلام؛ الأمر الذي كان يزعج بعض الصحابة، ويجعلهم يتهمون الرسول ﷺ بأنه يتمادى في إظهار عاطفته تجاه ابنته وصهره وأبناءهما عليهم السلام. القضية ليست مجرد إظهار عاطفة، وليست مجرد أحاسيس يشعر بها الإنسان تجاه أبنائه وأقربائه، بل هي قضية ترتبط بمصير الدين، إنها قضية ترتبط بمصالح الأمة.

فتارة يُعبّر عنها الرسول ﷺ بطريقة مباشرة فينصّب للناس إماماً، يُعين لهم قدوة، يرجعون إليه ويتمسكون به؛ لينقذهم من الضياع والهلاك؛ وأخرى يعبر بطريقة غير مباشرة، يبني علاقة مودة ومحبة بين الناس وبين هذا القدوة أو هذا الإمام.

الأجر والمودّة في القربى

قال - تعالى -: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة الشورى، الآية 23.



أي أجر هذا؟ هل هو أجرٌ يستفيد منه الرسول ﷺ؟! هل المسألة مسألة حاجة في نفسه يريد إشباعها؟ وقد أجاب القرآن عن ذلك في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁽¹⁾.

فكيف يكون لنا أجر مودّتهم ﷺ؟ ألاّنها تعود علينا بالثواب الجزيل فقط؟ أم لأّنها ملاك النجاة؟

والجواب: أنّ مودّتهم تبعث على الارتباط والاقتراء بهم، والتمسك بحبلهم، والعمل على منهجهم، والسير على طريقهم؛ لأنّهم ورثة علم رسول الله ﷺ، وعلمه ﷺ عن الله، قال -تعالى-: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁽²⁾.

فعلمهم الرسالة، ومنهجهم التوحيد، وسفينتهم سفينة النجاة، ولا يريد الله ورسوله لنا إلّا ذلك.

تشكّل الفضائل التي يؤكّد على بيانها رسول الله ﷺ ميزاناً لمعرفة أهل الحقّ عندما تختلط الأوراق وتشتبه الأمور على بعض الناس، فمن هذا القبيل ما ورد أنّ رسول الله ﷺ قال لعمرار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تقتلك الفئة الباغية، وآخر شرابك ضياح من لبن»⁽³⁾.

(1) سورة سبأ، الآية 47.

(2) سورة النجم، الآيتان 3-4.

(3) ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1415، ج 43، ط 1، ص 433.

وقد كان عمّار على يقين من أمره، فجاهد مع علي عليه السلام، وثبت معه على الحق، حتّى كانت صفّين، فكان لهذا الحديث عن رسول الله ﷺ دورٌ عند كثير من الناس الذين لم يتمكّنوا من تمييز الحق بسبب الشبهات والأجهزة الإعلامية الشيطانية، فجعلوا من عمّار محوراً وميزاناً لمعرفة الحق، فمالوا حيث كان يميل، وقد كان لمقتل عمّار رحمته الله أثره الكبير في إثارة الأجواء داخل جيش معاوية عند البسطاء الذين كانوا سمعوا الحديث عن رسول الله ﷺ؛ ممّا دفع عمرو بن العاص إلى ابتكار حيلة إعلامية جديدة فأرسل من يُشيّع أنّ قاتل عمّار من جاء به إلى الحرب.

وكذلك كان لقول النبي ﷺ: «فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها فقد أغضبني»⁽¹⁾ دوره في كشف الأقنعة التي تسرّ وراءها من أزاخوا علياً عليه السلام عن منصبه الذي أراده الله ورسوله له، ذلك عندما حاجتهم بهذا الحديث⁽²⁾.

وقد حاول المغرضون بعد ذلك وأعداء أهل البيت عليهم السلام أن يتخلّصوا من هذه المشكلة، ولم يجدوا أفضل من ردّ السهم نحو علي عليه السلام، فوضعوا أسطورة تقول إنّ علياً عليه السلام أراد أن يتزوّج على الزهراء عليها السلام من ابنة أبي جهل -لعنه الله-، أو من امرأة

(1) ابن البطريق، يحيى بن الحسن، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1407هـ، ط1، ص388.

(2) راجع: الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران - قم، 1413، ط1، ص135؛ الصدوق، الشيخ محمد بن علي، علل الشرائع، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، العراق - النجف الأشرف، 1385هـ - 1966م، لا.ط، ج1، ص187، وغيرهما من المصادر.



أخرى من بني هاشم بن المغيرة، كما في رواية أخرى، فغضب رسول الله ﷺ لأجل ذلك -على حدّ زعمهم- وقال: «فاطمة بضعة مني... إلخ».

وقد رويت هذه الأسطورة عن شخص واحد هو المسور بن مخرمة، وهو ابن أخت عبد الرحمن بن عوف، وقد وُلد بعد الهجرة بسنتين، فالحادثة التي يحكيها عن رسول الله ﷺ يُفترض أنّها وقعت وهو ابن ستّ سنين أو سبع سنين، كما نصّ على ذلك ابن حجر في كتاب تهذيب التهذيب.

فلا شكّ في أنّ هذه الأسطورة من موضوعات أعداء أهل البيت ﷺ الذين يريدون الطعن على عليّ ﷺ، بإقدامه على خطبة بنت أبي جهل من جهة، وبكونه هو المقصود في الحديث الشريف، حيث إنّه -والعياذ بالله- آذى فاطمة ﷺ وأغضب رسول الله ﷺ، وهذا ما تكذّبه السيرة القطعية والبحر الهائل من النصوص عن مكانته الخاصّة من رسول الله ﷺ.

كما أنّ الإمام عليّاً ﷺ ينفي ذلك، حيث يقول: «قوالله، ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمرٍ حتّى قبضها الله -عزّ وجلّ-، ولا أغضبتي، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان»⁽¹⁾.

(1) الموقف الخوارزمي، الموقف بن أحمد، المناقب، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي - مؤسسة سيد الشهداء ﷺ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1414هـ، ط2، ص353.

من جهة ثانية، في هذه الأسطورة اتّهام للسيدة الزهراء عليها السلام وللرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله بالتأذي من أمر شرّعه الله -تعالى-، وهو ما لا يمكن تصوّره على الإطلاق.

الاعتراض على البكاء

ثمّة قضيّة أخرى بارزة في سيرة الزهراء عليها السلام هي ما نسمعه دائماً من الخطباء وأهل المنبر، من أنّها عليها السلام بكت على أبيها حتّى ضجّ أهل المدينة من ذلك، وتأذّوا من كثرة بكائها، وجاؤوا إلى عليّ عليه السلام يطلبون منه التوسّط لديها لتكفّ عن البكاء؛ الأمر الذي ألجأ أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن يبني لها بيتاً في البقيع تخرج إليه كلّ صباح، فتبكي هناك حتّى المساء، وهكذا بقيت إلى أن فارقت الدنيا⁽¹⁾.

ليس هناك ما يُتعبّب منه إذا بكت المرأة أباه، وخاصّة إذا كان الأب رسول الله صلّى الله عليه وآله، وإذا كان له في حياة ابنته وجود متميّز.

لكن ربّما يخطر في أذهان بعض الأشخاص سؤال، وهو أنّه: لماذا يتأذى أهل المدينة من بكائها؟ ألمّ يحزن أهل المدينة لفقد رسول الله صلّى الله عليه وآله؟! فلا شكّ في أنّهم حزنوا أيضاً، فهل كانت الزهراء عليها السلام تبكي بصوت عالٍ بحيث يصل إلى البيوت المحيطة ببيتها فيؤذّينهم ذلك؟! ولا شكّ في أنّ هذا لا يمكن أن يصدر عن سيّدة نساء العالمين المرأة المعصومة التي بلغت من الكمال البشريّ مقاماً

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 43، ص 177.



يستحيل معه أن يصدر عنها مثل ذلك، فنحن لا نتصوّر أنها كانت ترفع صوتها بالبكاء.

إذاً، لماذا يتأذى أهل المدينة من بكائها ويطالبون أمير المؤمنين عليه السلام بكفّها عن ذلك؟

ويمكن الجواب عن السؤال بشكل جليّ إذا عدنا إلى تلك الحقبة التاريخية، ورسمنا خارطة جغرافيّة للساحة التي شهدت وقائع وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وما جرى بعدها.

فقد كان بيت الزهراء عليها السلام من ضمن بيوت النبي صلى الله عليه وآله بجانب المسجد، ومن المتفق عليه أنّ باب البيت كان يفتح على المسجد، وحديث سدّ الأبواب التي كانت مفتوحة من الدور المحيطة بالمسجد إليه معروف، واستثناء باب علي عليه السلام أمرٌ مُسلم.

فمدخل بيت الزهراء عليها السلام يمرّ من باحة المسجد، بل من المسجد نفسه. وأحداث السقيفة وقعت ورسول الله صلى الله عليه وآله مُسجّى لم يُدفن بعد، وقد زُفّ الخليفة كما تُزفّ العروس، إلى أين؟ إلى المسجد، وفي اليوم الثاني وعندما كانت تربة الرسول صلى الله عليه وآله طرية لم تجفّ بعد، كان المسجد يمتلئ بالمهتئين والناس في ذهاب وإياب من أمام باب فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان في أهل المدينة آنذاك من لم يستفق بعد من الصدمة، ولم يصحّ من هول الفاجعة بموت رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنهم من كان يعيش جوّ الابتهاج والاحتفال بالمنصب الجديد.

مجلس البيعة والتتويج ومجلس التهنة والاحتفال كان على بُعد

أمتار من بيت فاطمة عليها السلام حيث كان يُقام مجلس عزاء وبكاء على رسول الله ﷺ، فلم يكن ثمة انسجام بين هذا الجوّ وذاك.

بالطبع لم يكن يُرضي أولئك الذين يريدون الحفاظ على جوّ الابتهاج في المسجد أن يكون إلى جانبهم جوّ حزين، يمتلئ بالبكاء والرثاء.

مضافاً إلى أنّ الزهراء عليها السلام كانت تستفيد من اجتماع النساء عندها؛ لتظهر استياءها ممّا حصل، ولتبدّي لوعتها على ما جرى على ابن عمّها، ولتبيّن قلقها وخوفها على مصير الرسالة التي عاش من أجلها رسول الله ﷺ، وضجّى وعانى ومات.

لقد كان لبكائها عليها السلام معانٍ عدّة:

أولاً: هو لغة احتجاج على القوم، حيث تجاوزوا ما أمر به رسول الله ﷺ من الولاية لعلّي عليه السلام، وهو ما ظهر واضحاً في خطبتها عليها السلام في المسجد لاحقاً، وفي أحاديثها مع نساء المهاجرين والأنصار المجتمعات عندها.

ثانياً: هو تعبير طبيعيّ عن الخسارة الفادحة التي حصلت بفقد رسول الله ﷺ، والتي لم تُعوّض بما كان الرسول ﷺ قد خطّط له.

ثالثاً: هو أمر لا ينسجم مع أجواء البهجة والسرور التي تسود المجتمعين في المسجد النبويّ على مقربة من بابها عليها السلام.

فلماذا لا يتأدّى هؤلاء من بكائها! فليست القضية -إذاً- في البكاء نفسه، وإنّما في مداليله ومعانيه وآثاره، سواء أكان بصوت منخفض أم مرتفع، وسواء أكان في الليل أم في النهار، بل هو في النهار أخطر.



نعم، عبّرت النصوص عن المجتمعين في المسجد بـ«أهل المدينة» كما هي العادة الجارية والتي نرى شواهدا كل يوم. فيقولون هذه إرادة الشعب، وهذا رأي الشعب والجماهير، والأمر -في الحقيقة- لا يعدو أفراداً ممّن ينسبون إلى أنفسهم تمثيل الشعب.

فالحقيقة، إنّ دراسة أيّ واقعة في التاريخ أو السيرة لا تصحّ إلا إذا درسنا الظروف المحيطة بتلك الواقعة والساحة التي جرت عليها، وليس لنا أن نطرح تشكيكاتنا وشبهاتنا لمجرّد ملاحظة من هنا أو هناك، أو لمجرّد أنّها لم تنسجم مع ذوقنا ومزاجنا. أحياناً لا تكفي صحّة السند لقبول الواقعة التاريخية والتسليم بها، كما لا يكفي ضعف السند لطرحها وتكذيبها.

مقاطعة فَدَك

ثمّة قضية مهمّة أخرى في حياة الزهراء عليها السلام: هي قضية فَدَك. فما هي فَدَك؟

هي أرض أخذها رسول الله ﷺ بالصلح مع أهلها؛ أي دون حرب. وصرّحت الشريعة الإسلاميّة بأنّ الأرض التي ينجلي عنها أهلها بلا حرب؛ أي التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، يملكها الرسول ﷺ ويتصرّف فيها حسبما يراه من المصلحة.

قال -تعالى-: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة الحشر، الآية 6.

وكان لهذه الأرض أهميّة اقتصادية، ففي رواية: أنّ عائدها السنويّ كان يبلغ سبعين ألف دينار⁽¹⁾، فهي ثروة كبيرة، منحها رسول الله ﷺ لفاطمة الزهراء عليها السلام في حياته، لكنّها صودرت بعد رحيل رسول الله ﷺ، ومنع أهل البيت عليهم السلام من الاستفادة من عائدها تحت ذرائع مختلفة. وقد دخلت الزهراء عليها السلام في خصومة شديدة مع الحكم الجديد بسببها في قصّة طويلة لها كثير من الدلائل.

وثمة أسئلة عديدة قد تُطرح في هذا المجال، ومنها:

- 1- لماذا منح رسول الله ﷺ فدكاً لفاطمة عليها السلام ؟
 - 2- ما هي الأسباب الحقيقيّة التي دفعت الحكّام إلى مصادرتها؟
 - 3- ما هو سرّ إصرار الزهراء عليها السلام على المطالبة بها؟
- أمّا النقطة الأولى: إنّ المعروف من سيرة رسول الله ﷺ مع أهل بيته أنّه لم يكن يخصّهم بشيء من أمور الدنيا دون باقي المسلمين، فنحن نقطع أنّ رسول الله ﷺ لم يكن ليعطي فاطمة الزهراء ولا عليّاً عليه السلام بالطريقة التي يعطيها الملوك لأبنائهم، ولم يكن له عناية خاصّة من الناحية الماديّة بابنته وصهره وأبنائهما، بل الروايات تشير إلى عكس ذلك، فهو يحرص أن لا يندغمس هذا البيت المطهر في زينة الحياة الدنيا، وربما أظهر استياءه إذا رأى شيئاً منها على ابنته أو أولاده، وهو الذي كان يقول: «فإنّ هؤلاء أهل بيتي، ولا أحبّ أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا»⁽²⁾.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 29، ص 123.

(2) السيوطي، الدر المنثور، مصدر سابق، ج 6، ص 43.



بل حتّى أموال الغنائم التي كانت تصل إليهم من خلال سهم عليّ عليه السلام كواحد من المسلمين لم تكن تظهر عليهم، وبقيت الزهراء عليها السلام تطحن بيديها، وتستقي بنفسها إلى آخر لحظة من حياتها.

فأين كانت تذهب الأموال والغنائم وعائدات فدك؟

الثابت في النصوص أنّهم كانوا يتصدّقون بها، فبينما يعدّ المؤرّخون مقدار أموال فلان وفلان وما تركوه، وما ورثه منهم أبناؤهم، تراهم عندما يصلون إلى الزهراء وعليّ وأهل البيت عليه السلام يتغيّر الاتجاه إلى تعداد مقدار الصدقات والموقوفات وأمثال ذلك.

فتخصيص الزهراء عليها السلام بفدك وغير فدك لم يكن بدافع التوسعة على أهل البيت عليه السلام وزيادة ثروتهم، وإنّما كان لسبب آخر، فالرسول صلى الله عليه وآله كان ينظر إلى هذا البيت باعتباره مرجعاً للمسلمين من بعده، فهو يحرص على توفير الإمكانات المادّية ليمارس دوره في القيادة، فهو يضع بين أيديهم ما يمكّنهم من الإعطاء والإنفاق على الآخرين، لا ما يمكّنهم من الاستمتاع بالدنيا وزينتها.

وأما النقطة الثانية: إنّ المعروف أن فاطمة عليها السلام جاءت تطالب بفدك باعتبارها نحلة من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فكذّبت، على الرغم من أنّها من أهل العصمة وأنكروا دعواها، فأشهدت عليّاً والحسين عليه السلام، فردّت شهادة عليّ عليه السلام بذريعة أنّه يجرّ النار إلى قرصه، ورُدّت شهادة الحسين عليه السلام بذريعة صغرهما. فطالبت الزهراء عليها السلام عندئذٍ بإرثها من أبيها؛ أي إذا كنتم لا

تعترفون أنه عليه السلام قد منحني إياها في حياته فأعطوني إرثي منها.

وقد رُذِّ طلبها بدعوى أنّ رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نُورِث ما تركناه صدقة»⁽¹⁾.

وقد أنكرت الزهراء عليها السلام ذلك، واستدلّت بآيات من القرآن الكريم على أنّ الأنبياء يُورِثون، وأنّ هذا الحديث المزعوم يُخالف الكتاب.

والذي نقوله: إنّ هذه الأعداء لم تكن السبب الحقيقيّ لمصادرة فدك، فقد صودر غيرها أيضاً ممّا يرتبط بأهل هذا البيت من إمكانيات، لقد منعوهم حقهم في الخمس دون أيّ مبرر، فليس ثمة سبب آخر سوى أنّ ذلك كان جزءاً من سياسة الحصار الاقتصاديّ التي فُرِضت على عليّ عليه السلام لمنعنه من التحرك لاستعادة حقه في الخلافة، فهذا هو السبب الوحيد الحقيقيّ وراء مصادرة فدك وغيرها من الأموال.

أمّا النقطة الثالثة: إنّ الزهراء عليها السلام كانت تصرّ على الدخول مباشرة في النزاع على فدك والمطالبة بها للأسباب الآتية:

1. استعادة فدك تعني استعادة مصدر ماليّ مهمّ له كبير الأثر في تقوية جانب عليّ عليه السلام ورغد حركته في المطالبة بالخلافة.

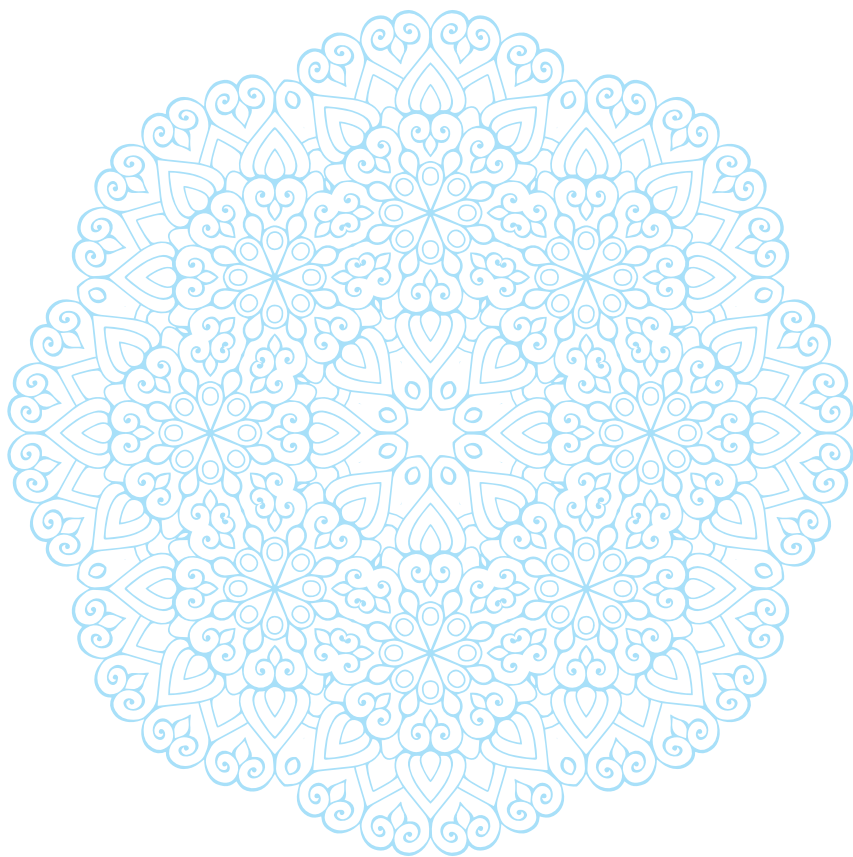
(1) أبي الفتح الكراجكي، العلامة محمد بن علي، التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة، تصحيح وتخريج: فارس حسون كريم، لان، لام، لات، لا، ط، ص129؛ الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، مصدر سابق، ج1، ص142؛ الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (تفسير الرازي)، لان، لام، لات، ط، ج9، ص210، وغيرها من المصادر.



2. بيان عدم أهلية الحكام الجدد للمنصب الذي يشغلونه من خلال إظهار عدم التزامهم بالأحكام ولا بالكتاب.
3. إظهار مظلوميّتها وتآذيها؛ الأمر الذي يحقّق موضوع حديث «فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني»⁽¹⁾؛ لما في ذلك من دور في فضح القوم، وكشف أقنعتهم.
4. لقد كان في تكذيبهم لها وردّهم لقولها وقول عليّ عليه السلام، مخالفة لما نصّ عليه القرآن الكريم من عصمتها وطهارتها من الرّجس.
5. المنازعة باب واسع مكّن الزهراء عليها السلام من إظهار أحقيّة أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك واضح في خطبتها الشهيرة في المسجد وبين نساء المهاجرين والأنصار.

الفصل الثالث

عاشوراء ومحاولات التشويه



أَهْقِيَّةُ ثَوْرَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تُمَثِّلُ عاشوراء الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ روح التحرر والإباء، ورفض الظلم والانحراف. وعلى الرغم من أنَّ هذه الحركة المباركة انطلقت من قواعد ثابتة وأهداف واضحة وأُسُس محدّدة، وعلى الرغم من أنَّ الشعارات التي رفعها الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت واضحة كالشمس في رابعة النهار، وكذلك الشعارات التي رفعها أعداؤه؛ على الرغم من ذلك كلّه، فإنَّ هذه النهضة العظيمة والحركة المباركة لم تنجُ من محاولات الدسّ والتشويه من قِبَل دعاة العصبية ومزوّري التاريخ والحقائق.

وليس ذلك -باعتقادنا- إلّا لأنَّ هذه الثورة تجاوزت -بحسب آثارها ومنطقاتها- حدود المكان والزمان، فقد انطلقت متجاوزة حدود المكان الذي كان يشكّل ساحة الحدث -أعني كربلاء- وما يحيط بها من أمصار العالم الإسلامي آنذاك، بل تجاوزت حدود الظرف الزمانيّ لذلك الحدث -أعني السنة الحادية والستين للهجرة النبويّة-، وانطلقت بآثارها وعطاءاتها باستمرار وتواعد، فكانت ولا زالت تشكّل تهديداً لكلّ مظاهر الظلم، وجميع أشكال الانحراف، وتزرع روح الفداء والتضحية في نفوس المسلمين،



وتضحّ الدم الثائر في عروق المجاهدين، وتمنح المرابطين في ثغور الإسلام صبراً وجلادة كالجبال الصمّ، فعاشوراء تمثّل حدثاً بهذا المستوى من التأثير، وبهذا الحجم وهذه السعة، ولا نتوقّع أبداً من حكام الجور وصنائعهم الذين يسيرون في ركبهم، ويقتاتون على فئات موائدهم، أن ينظروا إلى الإمام الحسين عليه السلام بعين الرضى، وأن يُخلصوا له المودّة، ويتعاملوا معه بأمانة، وإنّما المتوقّع من أمثال هؤلاء العكس تماماً، فالمتوقّع منهم أن يجنّدوا طاقاتهم وإمكاناتهم كلّها لنصرة أسلافهم وأئمّتهم الذين زلزلت عاشوراء عروشهم. صحيح أنّهم قتلوا الحسين عليه السلام إلا أنّهم لم يتمكّنوا من قتل روحه التي تبعث الحياة كلّ يوم في أرواح المسلمين، ولم يتمكّنوا من إطفاء نوره وإخماد ثورته، فمن الطبيعي جداً أن نرى ورثة نهج يزيد يعملون جهدهم، ويبدّلون ما في وسعهم لإخماد تلك الجذوة المتوهّجة، وتشويه صورتها، وتدّيس طهرها وصفائها؛ فلن يهدأ لهم بال، ولن تستقرّ لهم حال وروح الحسين عليه السلام تسري في نفوس المسلمين، ونهضته تغلي في قلوبهم، تهتّد مصالحهم وتقضّ مضاجعهم.

ولا شكّ في أنّ وظيفة المسلمين، الذين يتطلّعون إلى إسلام أصيل يُحكم به، وإلى قرآن كريم يُعمل به، وإلى سنن نبويّة تُحيا، وبدع جاهليّة وأهواء عصبية تُمحي، خاصّة أولئك الذين اتّخذوا من مدرسة أهل البيت عليهم السلام مسلماً ومنهجاً؛ من وظيفتهم حفظ نهضة عاشوراء، ومتابعة نهجها، والذبّ عنها، وإرواؤها من زكيّ دمائهم؛ ليستمرّ عطاؤها، ولتؤتّي أكلها كلّ حين بإذن ربّها.

من تصفّح الشعارات التي أطلقها الإمام الحسين عليه السلام في ثورته العظيمة، ومن درس العوامل التي دفعته عليه السلام إلى القيام بوجه طاغية زمانه، يجد أنّ تلك الشعارات تصلح للانطباق على أغلب العصور حتّى عصرنا الحاضر، وأنّ تلك العوامل تتجدّد في كلّ عصر ومصر، فلا غنى لنا أبداً عن مدرسة الحسين عليه السلام وعن عاشورائه.

البحوث التي ينبغي أن تدرس في عاشوراء

وقد وجدتُ أنّ من يريد دراسة عاشوراء ينبغي له أن يتأمّل ويركّز على أمور، أهمّها:

1. دراسة الظروف التاريخية والاجتماعيّة التي أحاطت بواقعة الطفّ، وبالتالي فهم الحالة السياسيّة التي دفعت الإمام الحسين عليه السلام إلى اتّخاذ ذلك الموقف.
2. دراسة الأهداف والشعارات، واستخلاص المنهج العامّ الذي وضعه الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام؛ هذا المنهج الذي يصلح أن يُجرّد عن خصوصيّة المكان والزمان، ويُصاغ كقاعدة كلّيّة يمكن اعتمادها في المسيرة السياسيّة للمسلمين في العصر الحاضر.
3. دراسة الطابع المأساويّ لهذه الواقعة، ودور ذلك في هزّ الضمائر الميّتة وإدخالها إلى الوجدان الحيّ، والأثر الإيجابيّ لذلك الأمر الذي ربّما يكون من العوامل المهمّة لتخليدها. مضافاً إلى دراسة



الدور السلبيّ للاكتفاء بقراءة عاشوراء من الزاوية المأساويّة فحسب؛ الأمر الذي قد يدفع بعض الناس إلى الاستغراق في عرض الصور الدراميّة التي تثير الجانب العاطفيّ، ولو كان ذلك بإعمال الخيال الخصب، وابتكار المشاهد والحوارات الغريبة عن أصل الواقعة والتي تضرّ أحياناً بالهدف الساميّ لعاشوراء، وربما أدّت إلى تشويه المنهج القويم الذي رسمه الإمام الشهيد لثورته. 4. ولا بدّ أخيراً من دراسة الأساليب وطرق المواجهة التي اعتمدها خصوم عاشوراء وأعداؤها الحاقدون على امتداد التاريخ حتّى العصر الحاضر، ويشمل ذلك محاولات التشكيك والتزوير التاريخيّ، ومحاولات تلميع الصور البشعة لصانعي مأساة عاشوراء، وتبييض صفحاتهم.

وكلّ واحدٍ من هذه الأمور الأربعة يُشكّل مدخلاً للدراسة وموضوعاً للبحث. ولا يمكن أن نطرق هذه الأبواب كلّها في هذا المقام نظراً إلى قصر الباع وقلة الإمكانيات العلميّة من جهة، وضيق الفرص وقلة الوقت من جهة أخرى. والحقيقة أنّ الدخول في مثل هذه الأبحاث يحتاج إلى سعة اطلاع ودقّة نظر وصفاء نفس لا أدعيّ لنفسي شيئاً منها.

ولكنّي -ومن خلال مطالعاتي المحدودة- سجّلت ما لفت نظري، ووجدت أنّه ممّا يستحقّ الوقوف عنده، هدي من ذلك كان التعرّف على الحقائق، لا التعريف بها، وإنيّ إذ أقدم ذلك بين أيديكم، أعتزّ بالقصور، بل بالتقصير، وقد لا أكون قد قدّمت شيئاً جديداً، وإنما أرجو أن يكتب الله -تعالى- لي به أجر المشاركين في إحياء عاشوراء والذبّ عنها.

وقد اقتصرنا هنا على البحث في الأمر الرابع والأخير من الأمور التي ذكرتها آنفاً، عسى أن يوفقني الباري -عز وجل- في فرص لاحقة لتناول الأمور الثلاثة الأخرى.

عاشوراء في كتب أهل السنة

سوف أستعرض في هذه النقطة ما وقعت عيناى عليه من كلمات المصنّفين من أهل السنة، وخاصّة أولئك الذين لم ينصفوا عاشوراء، ولم يعطوها حقّها، ولم يعرفوا واقعها وحقيقتها. وسأتناول ذلك بالدراسة والنقد، ولعلّي أتمكّن في هذه العجالة من استقصاء كلّ ما كُتب، إلّا أنّه يمكن من خلال هذا المقدار الذي وسعني أن يكوّن الباحث فكرةً تصلح لأن تكون موضوعاً للدراسة.

عاشوراء في اللغة

عاشوراء وعشوراء، ممدودان، اليوم العاشر من المحرم، وقيل التاسع⁽¹⁾. قيل: هو اسم إسلامي لم يُعرف في الجاهليّة⁽²⁾، ولكن هذا

(1) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم المقدّسة، 1405هـ، لا ط، ج 4، ص 569: الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهديّ المخزوميّ وإبراهيم السامرائيّ، مؤسّسة دار الهجرة، لا م، 1410هـ، ط 2، ج 1، ص 249: الفيروزآبادي، محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسّسة الرسالة، مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426هـ/2005م، ط 8، ج 2، ص 127.

(2) ابن دريد، جمهرة اللّغة، تحقيق ومراجعة: رمزي منير بعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ط 1، ج 2، ص 727: ابن الأنثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاويّ ومحمود محمّد الطناحيّ، مؤسّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، 1364هـ ش، ط 4، ج 3، ص 240.



يتعارض مع ما رواه أهل السنّة عن عائشة أنّها قالت: «كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهليّة، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهليّة»⁽¹⁾. وأنّه «كان يوماً تُستَرّ فيه الكعبة»⁽²⁾.

اللّهمّ إلّا أن يُدعى أنّه لم يكن يُطلق عليه هذا الاسم بالذات، وما كان معروفاً هو ذات اليوم دون اسمه، إلّا أنّه خلاف الظاهر. وعلى أيّ حال، فظاهر الكثير من أهل اللغة أنّه اسم كان معروفاً عند العرب، حيث إنهم لم يشيروا إلى حدوثه بعد الإسلام، على الرغم من أنّهم أشاروا إلى أنّه لم يُسمع في أمثلة الأسماء اسماً على وزن فاعولاء إلّا أحرف قليلة، كالضارواء بمعنى الضراء، والसारواء بمعنى السراء، والدالولاء والخابوراء، ولو كان حادثاً متأخراً لأشاروا إليه. ومن ذكّر أنّه اسم إسلامي اعتمد على ظاهر نصوص لم تثبت صحّة أسانيدھا.

عاشوراء واليهود

وردت نصوص عدّة من طرق أهل السنّة تتضمّن أنّ عاشوراء كان يوماً تصومه اليهود، وفي بعضها أنّهم كانوا يتّخذونه عيداً، ويدّعون أنّه اليوم الذي نجى فيه موسى وقومه وأغرق آل فرعون، فكانوا يعظّمونه ويصومونه لأجل هذا.

(1) البخاري، محدّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، 1401هـ/1981م،

لا ط، ج 2، ص 250.

(2) المصدر نفسه، ص 159.

منها ما رواه عن ابن عباس قال: «قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسُئِلُوا عن ذلك، فقالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، فنحن نصومه تعظيماً له، فقال النبي ﷺ: نحن أولى بموسى منكم، فأَمَرَ بصومه»⁽¹⁾.

وفي نصٍّ آخر عن طريقٍ ثانٍ: "أَنَّ رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه، فصام موسى شكراً، فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: فنحن أحقّ وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله ﷺ وأَمَرَ بصيامه»⁽²⁾.

وعن أبي موسى قال: دخل النبي ﷺ المدينة وإذا أناس من اليهود يُعَظِّمُونَ عاشوراء ويصومونه، فقال النبي ﷺ: «نحن أحقّ بصومه، فأَمَرَ بصومه»⁽³⁾.

(1) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، ج 4، ص 269؛ أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، ل.م، 1410هـ/1990م، ط 1، ج 1، ص 546؛ النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 1411 - 1991م، ط 1، ج 2، ص 156.

(2) ابن حنبل، مسند أحمد، مصدر سابق، ج 1، ص 310؛ النيسابوري، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، دار الفكر، بيروت، ل.ا، ط 3، ج 3، ص 149.

(3) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، ج 4، ص 269.



وفي بعض الأخبار تصريح بأن اليهود كانوا يتخذونه عيداً، وأنهم يلبسون نساءهم فيه حلّهم وشارتهم⁽¹⁾.

وفي هذا الأمر مناقشات عدّة:

أولاً: إنّ هذه الروايات معارضة بما ورد عن عائشة وغيرها من أنّ قريشاً كانت تصوم عاشوراء في الجاهليّة، وأنّ الرسول ﷺ صامه قبل نزول آية صوم شهر رمضان. ومن المعلوم أنّ هذه الآية في سورة البقرة وهي أوّل سورة نزلت في المدينة، فإذا تمّ ذلك فيكون الرسول ﷺ قد صام عاشوراء وعرفه القرشيّون قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة والتقاءه باليهود، بل إنّ بعضها يصحّح بأنّ صيامه ﷺ لعاشوراء كان قبل قدوم المدينة، بل يفهم هذا من عبارة: «تصومه قريش في الجاهليّة»، والجاهليّة ما قبل الإسلام.

فإذا تمّ ذلك، فهو لا ينسجم مع ما تقدّم في النصوص من أنّ رسول الله ﷺ إنّما أمر بصومه في المدينة بعدما وجد اليهود يصومونه.

وثانياً: إنّ هذه الروايات تحاول أن تجعل من الرسول ﷺ تابعاً لليهود في التشريع ومقتبساً من دينهم، ونحن وإنّ كنّا لا نمنع أن يتفق الإسلام مع الأديان السابقة في بعض التشريعات، إلّا أنّ الذي نقطع به أنّ التشريع كان يتمّ عن طريق الوحي، وليس عن طريق الاقتباس من الأديان المعاصرة.

ثالثاً: إنّ ظاهر بعض النصوص أنّ الرسول ﷺ كان لا يرغب في موافقة اليهود، بل كان يتعمّد مخالفتهم، ففي النصّ الذي يروونه عن ابن عباس أنّه كان يقول: «حين صام النبي ﷺ يوم عاشوراء وأمّرنا بصيامه قالوا: يا رسول الله، إنّ يوم تعظّمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ: فإذا كان العام المقبل صمنا يوم التاسع»⁽¹⁾.

وصريح ما روي عن ابن عباس أنّه قال: «صوموا التاسع والعاشر، وخالفوا اليهود»⁽²⁾.

والعجيب ممّن روى أنّ رسول الله ﷺ كان يحبّ موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء⁽³⁾.

رابعاً: يرى بعض المحقّقين⁽⁴⁾ أنّ صوم اليهود في العاشر من شهرهم الأوّل «تشري» الذي يطلقون عليه اسم يوم الكفّارة، ولم يكن ذلك اليوم يوم نجاتهم، وإنّما كان هو يوم توبة الله عليهم وتلقّيهم اللوح الثاني من ألواح الشريعة العشرة. وهذا الأمر إذا تمّ يُضيف إلى المسألة مشكلة جديدة.

(1) أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، مصدر سابق، ج 1، ص 546.

(2) الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1403 هـ - 1983 م، ط 2، ج 2، ص 128.

(3) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، ج 4، ص 269.

(4) اليوسفي، الشيخ محمّد هادي، مجلّة رسالة الثقلين، مجلّة المجمع العالمي لأهل البيت، قم، لا. ت، لا. ط، العدد الثاني، ص 240.



وقد ورد في بعض أخبارنا أنَّ يوم نجاة موسى ﷺ وبني إسرائيل وغرق فرعون كان في ربيع الأوَّل⁽¹⁾، وهذا يدلُّ على عدم صحَّة صوم اليهود ليوم العاشر من المحرم، وغاية ما يمكن الذهاب إليه أنَّهم كانوا يصومون يوماً يعظَّمونه لوقوع ذلك الحَدَث فيه، وهذا اليوم ربَّما كان في ربيع الأوَّل، وربَّما كان عاشر يوم من شهرهم الأوَّل، وقد اشتبه الأمر على الذين رَوَوْا صوم عاشوراء؛ ولعلَّ الأصحَّ أنَّهم تعمَّدوا ذلك لتشويه هذا اليوم وتغيير معالمه، فاستعاروا قضية صوم اليهود ولصقوها بعاشوراء لأهداف لا تُخفى، وسيأتي التعرُّض لها.

وقد أورد محدِّثو أهل السنَّة رواية يمكن أن تشكِّل إشعاراً لما قلنا ومؤيداً له، فقد روي عن معاوية ابن أبي سفيان أنَّه خطب في المدينة يوم عاشوراء فقال: «أين علماؤكم يا أهل المدينة؟! سمعت رسول الله ﷺ يقول: هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن أحبَّ منكم أن يصوم فليصم، ومن أحبَّ أن يفطر فليفطر»⁽²⁾.

فقلوه: أين علماؤكم... يُشعر أنَّه لم يكن معروفاً عند أهل المدينة ولا عند علمائها، وليت شعري! متى سمع معاوية من رسول الله ﷺ حديثاً اختصَّ به دون المسلمين، وهو المتأخَّر إسلاماً وهجرة، فهو على الأقلّ تنكَّر لمقولة صوم اليهود له واقتباس النبي ﷺ المزعوم لهذا الحكم الشرعيّ منهم، وهو تنكَّر في المقابل

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 45، ص 202: الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص 111.

(2) النيسابوري، صحيح مسلم، مصدر سابق، ج 3، ص 149.

لدعوى كونه يوم صوم في الجاهليّة، وأنّه كتب عليهم صومه إلى أن فرض الله صوم شهر رمضان.

والذي تدلّ عليه روايات أهل البيت عليهم السلام أنّ مسألة تعظيم هذا اليوم والروايات المروية في فضل صومه وأمثال ذلك، كلّها من وضع الحاقدين على عاشوراء، الذين يسعون لإخماد شعلتها⁽¹⁾.

عاشوراء ومحاولات المسخ والتشويه

من المسلّم به، أنّ الإمام الحسين عليه السلام الذي قدّم نفسه وأهل بيته وأعزّ أصحابه قرايين لله، قد غرس بدمائه الزكيّة بذور الثورة والجهاد التي بقيت تنمو وتزهر في وجدان الشعوب المستضعفة، الباحثة عن الحرّيّة، والعاملة في سبيل نشر راية التوحيد والعدالة. ولقد أدرك حكام الجور هذه الحقيقة منذ اللحظات الأولى، وعرف الساسة المحنكون أنّ الحسين عليه السلام هو الذي انتصر على المدى البعيد على الرغم من استشهاده، وعلى الرغم من محاولاتهم المستمرّة للقضاء على هذا البيت الطاهر واجتثاث أصوله.

يقول الدكتور الجميليّ في مقدّمة تحقيقه لرواية الطبريّ التي تحكي واقعة الطفّ: «إنّني أرى -وهذا رأي خاصّ- أنّ الحسين انتصر على المدى البعيد، فهو إنّ لم يظفر بمراحه في معركة حربيّة ومواجهة عسكريّة، إلّا أنّ نيّله الشهادة -في حدّ ذاته- كان انتصاراً

(1) راجع الرواية التي أشرنا إليها في: الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص 110-111.



له... وكان استشهاده سبباً مباشراً في زلزلة عرش دولة الأمويين...»⁽¹⁾.

هذه نفثات إقرار بالواقع من قِبل كاتب كتب بروح أقرب إلى الانحياز إلى الطرف الآخر المقابل لنهج أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما يبدو من خلال دراسته المذكورة.

ولقد كانت هذه الحقيقة أوضح من أن ينكرها حتى المقرّبون من يزيد، وقد نُقِلَ أَنَّ عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج بن يوسف: «جَنَّبَنِي دماء أهل هذا البيت، فَإِنِّي رَأَيْتُ بني حرب سُلِبُوا مُلْكُهُمْ لَمَّا قَتَلُوا الحسین»⁽²⁾.

وقد أخذت محاولات الحُكَّام للقضاء على عاشوراء ومحوها من ذاكرة الأمة أشكالاً عديدة، واعتمدت أساليب متنوّعة، وسنحاول هنا عرض ما أمكن من أشكال تلك المحاولات.

الشكل الأوّل

يتمثّل في تجريد واقعة الطفّ من الطابع الدينيّ، وإلباسها ثوب النزاع الشخصيّ تارّةً، والنزاع السياسيّ الدينيّ تارّةً أخرى. ومن الواضح أنّ هذا النحو من التشويه من شأنه أن يُجرّد عاشوراء من أهمّ عوامل بقائها واستمرارها ونموّها في وجدان الشعوب المسلمة؛ لأنّها بذلك ستفقد القيمة الأساس، وهي الطابع الدينيّ

(1) الطبري، ابن جرير، استشهاد الحسين، تحقيق ودراسة: الدكتور السيّد الجميليّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لا.ت، لا.ط، ص23.

(2) ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، 1420هـ، ط3، ج5، ص126.

الذي يعطيها بُعداً عالمياً، ويُخرجها من دائرة الظرف الزماني والمكاني المحدودين.

ويمكن استفادة شواهد عدّة من هذا الأسلوب أو هذا الشكل من المحاولات، منها:

الشاهد الأول: نقف عند قصّة أرنيب بنت إسحاق⁽¹⁾ التي حكيت فصولها بطريقة مثيرة، أشبه بروايات الحب والغرام، وقد كان الهدف الأول والأخير -على ما يبدو- من حياكة فصول هذه القصّة هو إثارة حالة من الوجد، وادّعاء وجود بذور من الضغينة والعداء بين يزيد بن معاوية من جهة والإمام الحسين بن عليّ عليه السلام من جهة أخرى، سببه نزاع شخصي على امرأة جميلة، كان لها في قلب يزيد موقع حسّاس. ومن المعلوم أنّ مثل هذه القضايا تترك آثاراً نفسيّة وجروحاً عاطفيّة يصعب معالجتها، وكأنّ الذين رسموا هذه اللوحة أرادوا أن يجعلوا حالة العداء المتأصّلة بين هذين الخصمَيْن ذات منشأ عاطفيّ، بالتالي يكون للنزاع طابع شخصي، وهذا الأمر يشوّه الأهداف السامية التي تقف وراء حركة الإمام

(1) أرنيب بنت إسحاق كانت متزوّجة من الأمير عبد الله بن سلام والي معاوية على العراق، وقد ذكر المؤرخون: أنّ يزيد قد عشقها لشدة جمالها قبل أن تتزوّج، لكنّ معاوية لم يُقدم على خطبتها لابنه حتى تزوّجت من عبد الله بن سلام، فأصاب يزيد بسبب ذلك علّة على أثر الصبابة التي كانت به تجاهها، وظلّ يشتهي العلّة حتى علم معاوية بالأمر وأراد معالجة قلب ابنه بانتزاعها من زوجها، فاحتال لذلك بأن استدعى عبد الله بن سلام ووعده بالزواج من ابنته، لكنها شرطت عليه أن يُطلق زوجته فطلقها، وتماّم القصّة: أنّ معاوية بعد ذلك ظلّ يماطل في تزويج ابنته حتى خرجت أرنيب من عندها، فأرسل في خطبتها بعض الأشخاص، وعلم بذلك الحسين عليه السلام وفهم الحيلة، فسارع إلى خطبتها لنفسه وفوّت بذلك الفرصة على يزيد، حتى عاد زوجها من الشام، فطلقها الحسين عليه السلام، وأعادها إلى زوجها السابق. وادّعوا أنّ ذلك كان سبباً في وجد زيد وحفده على الحسين عليه السلام.



الحسين عليه السلام ، ويخفف كثيراً من التبعات السيئة التي يؤاخذ بها صانعو كربلاء.

والجدير بالذكر هنا، أنّ هذه القصة ظاهراً ليس لها واقع؛ وذلك لملاحظات عدّة أوردتها أستاذنا المحقق السيّد جعفر مرتضى⁽¹⁾ على هذه القصة، أهمّها:

1 - إنّ أحد الشخصيات البارزة في الرواية، وهو أبو الدرداء، كان قد توفّي قبل هذه القصة بكثير؛ لأنّهم يقولون: إنّّه توفّي قبل عثمان بسنتين؛ أي سنة ثلاث وثلاثين أو قبلها أو بعدها بسنة وكان في دمشق، وقيل: توفّي بعد صفين سنة ثمانية أو تسع وثلاثين. والأصحّ والأشهر عند أهل العلم وأهل الحديث أنّه توفّي في خلافة عثمان بعد أنّ ولّاه معاوية قضاء دمشق. واستدلّ ابن الأثير على أنّ موته في خلافة عثمان هو الأصحّ بقوله: «لو بقي لكان له ذكرٌ بعد مقتل عثمان؛ إمّا في الاعتزال، وإمّا في مباشرة القتال، ولم يُسمع له بذكر فيهما البتّة»⁽²⁾.

ومهما يكن، فعلى جميع الاحتمالات لم يكن له وجود عندما دارت أحداث القصة المذكورة؛ لأنّ صريح الرواية أنّها وقعت بعد البيعة ليزيد بولاية العهد؛ أي بعد سنة 49، فلا يمكن أن يكون أبو الدرداء أحد أبطالها.

(1) راجع القصة ومصادرها والملاحظات: مرتضى، السيّد جعفر، دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، دار جواد، لام، 1414هـ/1993م، ط3، ج1، ص155.

(2) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، لات، لاط، ج4، ص160.

2- ولادة يزيد نفسه كانت إمّا سنة 31 أو 27 أو 26 على اختلاف الروايات، وهذه قرينة أخرى إذا جُمعت مع ما تقدّم من وفاة أبي الدرداء في خلافة عثمان؛ إذ إنّ دور أبي الدرداء في القصة يقتضي أن يكون عمر يزيد بين سنة أو أربع أو خمس أو اثني عشر سنة، ومن كان في هذا العمر ليس فيه أهليّة لما ورد في الرواية من العشق المضنيّ والنقاشات القويّة التي وردت في الرواية، كما أنّه لا يكون مؤهلاً لأن يكون مستشاراً ومفزعاً لأبيه في المعضلات، كما ورد فيها.

3- لو كانت أحداث القصة قد وقعت قبل وفاة أبي الدرداء -كما هو المفروض-، فإنّ الإمام الحسين (عليه السلام) في ذلك الحين لم يكن معروفاً على الصفة التي وردت في الرواية من أنّه سيّد أهل العراق فقهاً ومالاً وجوداً وكرماً؛ وذلك لوجود أبيه الإمام عليّ وأخيه الإمام الحسن (عليه السلام).

4- عبد الله بن سلام، الشخصية المهمّة الثانية في القصة المزعومة، والوالي على العراق من قبل معاوية حسب ما فرضت القصة، هذه الشخصية لم تُذكر مطلقاً في جملة الولاة والأمراء الذين استعملهم معاوية على العراق، بل ثمة نقطة أخرى نضيفها إلى ما تقدّم وهي أنّ القصة تنصّ أنّ عبد الله بن سلام كان والياً من قبل معاوية على العراق عندما حصلت هذه القصة، ومن المعلوم أنّ العراق لم يدخل في سلطة معاوية إلّا في سنة 41 بعد الصلح، والمفروض أنّ أبا الدرداء توفّي قبل هذه السنة على جميع الفروض.

5- لم تذكر كتب التاريخ والرجال إلّا ثلاثة أشخاص باسم عبد



الله بن سلام، اثنان منهم متأخران زماناً عن تلك الفترة؛ لكونهما ممّن عاش في القرن الثاني، والثالث هو عبد الله بن سلام الحبر اليهودي المعروف في صدر الإسلام، وهذا لا يمكن أن يكون هو المقصود في القصّة لأمر عدّة:

أولها: إنّه ليس قرشيّاً، والقصّة تنصّ على قرشيّة بطلها؛ إذ إنّ ذلك الحبر كان إسرائيلياً أنصاريّاً من بني قينقاع.

ثانيها: إنّ ابن سلام الحبر اليهوديّ توفيّ سنة 41 على قول، و43 حسب قولٍ آخر؛ ولذلك لا يمكن أن يكون هو بطل القصّة التي يبدو أنّ أحداثها تدور في فترة متأخّرة عن ذلك.

ثالثها: إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) بعد صلح الإمام الحسن (عليه السلام) انصرف إلى المدينة ولم يسكن العراق، فكيف كان سيّد العراق في ذلك الحين.

ورابعها: لو فرضنا جدلاً بقاء عبد الله بن سلام اليهوديّ في ذلك الزمان، وأنّ النصّ على قرشيّته كان اشتباهاً، فلا بدّ من أن يكون في ذلك الوقت شيخاً كبيراً؛ ممّا يجعل التناسب بين عمره وبين ما وصفت القصّة من حالة الحبّ والغرام الحاصل بينه وبين زوجته (أرنيب) مفقوداً.

وخامسها: لا نعلم أنّ هذا الحبر اليهوديّ قدِمَ العراق أصلاً، فضلاً عن تولّيه إمارة العراق.

6- أسلوب الرواية المسرحيّ التمثيليّ أشبه بأسلوب الروايات المصنوعة لمجالس السمر والسهر.

7- أبو الدرداء لم يُعرف بولائه لأهل البيت عليه السلام، ولا بعلاقته الطيبة معهم، وهذا لا ينسجم مع تعظيم الإمام الحسين عليه السلام الشديد له، وتعاطفه معه عليه السلام، مع كونه أمويًا ولّاه معاوية قضاء دمشق عندما كان والياً لعثمان.

إلى ما هنالك من الملاحظات الأخرى التي يكفي بعضها للطعن في الرواية والحكم باختلافها، وأنها صيغت لتلك الأغراض التي تعرضنا لها.

وثمة العديد من الروايات القريبة من هذه تصلح لأن تكون شاهداً لما قلنا. والمؤسف، أن كثيراً من الكتاب - قديماً وحديثاً - خُدع بهذه القصة، وأوردها استدلالاً على جذور الحقد بين الإمام عليه السلام ويزيد.

فعلى سبيل المثال نجد عباس محمود العقّاد (الكاتب المصري المعروف) قد أدرجها في سياق حديثه عن النزاع المشهور بين الإمام الحسين عليه السلام ويزيد، معنوناً إياها بالعنوان الآتي: «زواج الحسين من التي كان يهواها يزيد هوى أدنفه وأعياه»⁽¹⁾.

واستنتج منها في ختام كتابه أسباب النفرة والخصومة بين الرجلين. وأورد بعض الكتاب هذه القصة في سياق المدح وتعداد مناقب الإمام الحسين عليه السلام، دون الالتفات إلى التهافت الوارد فيها ولا المغزى الحقيقي وراء وضعها⁽²⁾.

(1) العقّاد، عباس، أبو الشهداء الحسين بن علي، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2006م، ط8، ص37-39.

(2) العلّيلي، عبد الله، الإمام الحسين، دار ومكتبة التربية، بيروت، 1986م، ط1، ج3، ص503.



الشاهد الثاني: يتلخّص فيما أورده العديد من الكتاب والمحلّين عندما صوّروا النزاع بين الإمام الحسين عليه السلام ويزيد بأنّه نزاع على السلطة وطلب الدنيا. ولعمري، فإنّ هذا جهل ليس بعده جهل، حيث يوضع الفاسق الفاجر المتسلّط على رقاب المسلمين في صفّ إمام الهدى والعروة الوثقى، وارث علوم النبيّين، ومن نزل به وبأخيه وبأمّه وأبيه آية التطهير والمودّة والمباهلة وسورة الإنسان.

الشاهد الثالث: يتمثّل بمقولة مفادها أنّ الإمام الحسين عليه السلام وفي طريقه إلى الكوفة. عندما بلغه نبأ استشهاد مسلم بن عقيل سفيره إلى أهل الكوفة، عزم على الرجوع إلى حيث خرج، ولكنّ إخوة مسلم بن عقيل الذين كانوا معه، أصرّوا على التقدّم، ولم يمتثلوا إرادة الحسين عليه السلام، بل صمّموا على الأخذ بالثأر لأخيم مسلم من قتلته في الكوفة، ولم يجد الإمام الحسين عليه السلام عندئذٍ بداً من النزول عند رغبتهم ومتابعة المسير نحو الكوفة⁽¹⁾.

وهذه المقولة تجعل من حركة الإمام الحسين عليه السلام وثورته قضيّة شخصيّة لا تعدو الأخذ بالثأر واضطرار الحسين عليه السلام إلى القتال استجابةً لرغبة أبناء عمّه حسبما تمليه الأنظمة والقواعد العشائريّة والقبلية. وهذه محاولة لطمس معالم ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافها الحقيقيّة، وإخفاء الشعارات المرفوعة التي تُنبئ عن الأسس الدينيّة الثابتة التي انطلق منها عليه السلام في تلك الحركة العظيمة.

(1) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، حقّقه ودقّق أصوله وعلّق حواشيه: عليّ شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408 هـ/ق 1988 م، ط 1، ج 8، ص 182.

الشكل الثاني

لقد سعى كثير ممّن أرّخ لدولة بني أُميّة للتخفيف من فظاعة الجريمة النكراء التي ارتكها يزيد بن معاوية في حقّ الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، إمّا عن طريق تحميل كامل المسؤولية عمّا جرى لعبيد الله بن زياد الذي خطّط وقاد المعركة من قصره في الكوفة، وفي المقابل تبرئة يزيد من تلك المسؤولية كلياً أو من الجزء الأكبر منها على الأقلّ؛ أو عن طريق ادّعاء ندمه وتوبته من ذلك.

ومن أمثلة ذلك ما أورده ابن عبد ربّه الأندلسي، حيث قال: إنّ يزيد بن معاوية عندما جاءه الرأس الشريف للإمام الحسين (عليه السلام) قال: «قبّح الله ابن مرجانة -وفي رواية ابن سميّة-: أما والله لو كنت صاحبه لتركته، رحم الله أبا عبد الله وغفر له»⁽¹⁾.

ولكنّ هؤلاء تغافلوا عن حقائق كثيرة تدلّ على بطلان ما زعموه، أهمّها:

أولاً: إنّ يزيد أقدم على عزل النعمان بن بشير الذي كان والياً على الكوفة من قبل أبيه، ونصّب مكانه عبيد الله بن زياد، علماً منه بشدّة عداوته لأهل البيت (عليهم السلام)، بل إنّ اختياره لهذا المنصب لم يكن إلّا لأجل ذلك، وليضمن الموقف الصلب ضدّ الإمام الحسين (عليه السلام)، وعزل النعمان نتيجة لضعف موقفه في هذا

(1) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، مصدر سابق، ج 5، ص 123؛ وقريب منه في: ابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم، الإمامة والسياسة، تحقيق ومراجعة: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1418 هـ/ 1997 م، لا ط، ج 2، ص 6-7.



المجال. فهو بالتالي كان يمهد الأرضية المناسبة للقضاء على الإمام الشهيد والوقوف أمام حركته، فلم يفعل عبيد الله إلا ما أمر به.

ثانياً: إنَّ يزيد أنفذ عمر بن سعيد بن العاص في عسكر عظيم إلى مكة، وولاه أمر الموسم، وأمره على الحاجِّ كلِّهم، وذلك بعد أن علم بخروج الحسين عليه السلام إلى مكة، وقد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام، سرّاً وإن لم يتمكّن منه بقتله غيلة، بل في تلك السنة دسّ مع الحاجِّ ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية، وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام على أيّ حالٍ اتَّفَق. وقد علم الإمام الحسين عليه السلام بذلك، فكان هو السبب في تعجيل الخروج قبل الموسم⁽¹⁾.

ثالثاً: عندما قدّموا بالرؤوس والسبايا إلى الشام كانت الأجواء أجواء احتفال وابتهاج بالنصر، وهذا ما تنصّ عليه أكثر كتب التاريخ. ولَمَّا نُصِبَ رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يدي يزيد، نكثته بقضيبه وأنشد أبيات ابن الزبيري:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً

ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل⁽²⁾

(1) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 45، ص 99.

(2) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، مصدر سابق، ج 4، ص 123؛ وقيل: إنه أنشدّها أيضاً عندما جيء برؤوس أهل المدينة بعد وقعة الحرة؛ راجع: ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد، العقد الفريد، مصدر سابق، ج 5، ص 131، وغيرهما الكثير من المصادر.

وروي أنه وضع رأس الإمام الحسين عليه السلام في طست من ذهب، وجعل ينظر إليه، ويقول هذه الأبيات:

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة وأسيافنا يقطعن كفاً ومعصماً⁽¹⁾
نفلق هاماً من رجال أعزة

علينا وهم كانوا أعق وأظلماً

ثم تكلم بكلام قبيح وأمر بالرأس أن يُصلب بالشام⁽²⁾.

وهذا كله يدل على أنه هو المسؤول -أولاً وآخر- عن قتل عترة الرسول ﷺ وسبطه، وأن ما يقال من أنه أظهر الندم لا وجه له مطلقاً، بل كان يُظهر الفرح والشماتة. ولو كان هناك أثر لما ذكر من الندامة أو عدم الرضى عما ارتكب في كربلاء، فلماذا لم يبادر لمعاقبة الفاعلين أو إلغاء مظاهر الاحتفال بالنصر؟!

رابعاً: يؤيد ذلك كله ما ورد في خطبة معاوية بن يزيد عندما وُيِّ الأمر بعد أبيه، حيث صرح أن أباه قد قتل عترة رسول الله ﷺ، وأباح الخمر وضرب الكعبة، وهذه شهادة تكفي لإدانته وإثبات مسؤوليته عن ذلك كله⁽³⁾.

(1) اليافعي، عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه: خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية، 1417 - 1997م، ط1، ج1، ص109.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين، تقديم وإشراف كاظم المظفر، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبتها - النجف الأشرف، 1385 - 1965م، ط2، ص80.

(3) ابن حجر، أحمد بن محمد، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمان بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1417هـ/1997م، لا ط، ص134.



خامساً: نقل اليعقوبي: أَنَّ يزيد كتب إلى عامله في المدينة الوليد بن عتبة: «إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث لي برؤوسهما»⁽¹⁾.

الشكل الثالث

في مرحلة لاحقة لوقعة الطفّ، وبينما كانت الذكرى تتفاعل وتعمّق في نفوس المسلمين، ويُستفاد من المناسبة لإعادة سرد القصّة، والصورة المأساويّة للواقعة، كان حكام الجور في المقابل يعملون على محاصرتها وتضييق الخناق عليها، في محاولة لمحوها من ذاكرة الأمّة واقتلاع جذورها، وقد كان ثمة صور عديدة لذلك:

الصورة الأولى: منع رواية مقتل الإمام الحسين عليه السلام. وقد بُرّر هذا الإجراء بتبريرات واهية عمل على صياغتها وعَاطَ السلاطين ومهندسو الإعلام الرسميّ، ومن نماذج ذلك ما رواه ابن حجر عن الغزاليّ وغيره من قولهم: «يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته، وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنّه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم، وهم أعلام الدين...»⁽²⁾.

والحقيقة، إنّ حفظ ماء وجه بعض الصحابة وأبنائهم مطلب مهمّ وُضعت من أجله النصوص، وحيكّت الروايات، ودُبجت

(1) اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبيّ، دار صادر، بيروت، 1379هـ/ 1960م، لا.ط، ج2، ص154.

(2) ابن حجر، الصواعق المحرقة، مصدر سابق، ص133.

المقالات والأدلة والبراهين الوهميّة. وليس المقصود طبعاً حفظ ماء وجه الجميع، ولا نشكّ في أنّ فيهم الثقة والعدول والعلماء والمجاهدون، وإنّما المقصود جماعة منهم على التعيين، عاثوا في الأرض فساداً بعد رحيل رسول الله ﷺ، وتلطّخت أيديهم بدماء المسلمين وعترّة الرسول الأعظم ﷺ، وكانوا وصمة عار في تاريخ الإسلام لا تُمحي.

الصورة الثانية: اتّخاذ يوم عاشوراء عيداً، ووضع الفضائل لهذا اليوم، وادّعاء بعض المستحقّات الخاصّة؛ كالصوم، والاعتسال، والاكتحال، والتوسيع على العيال، وإظهار الفرح والسرور⁽¹⁾، وأمثال ذلك.

وقد قدّمنا أنّه لا يمكن الحكم باستحباب صوم يوم عاشوراء بخصوصه؛ وذلك لأنّ الروايات التي استُدلّ بها على ذلك متهافّة، منها ما يدّعي أنّه كان يُصام في الجاهليّة، وأنّ الرسول ﷺ كان يصومه قبل البعثة، ومنها ما يدّعي أنّه شرّع في المدينة عندما وجد الرسول ﷺ اليهود يصومونه، فقال: نحن أوّل بموسى أو أوّل بصومه، وهذا يجعلنا نشكّ في أصل تشريع صومه بالخصوص، والمقتضيات متاحة لوضع الأحاديث في ذلك من قبّل بني أميّة، والتي ساعد على انتشارها عدم تدوين سنّة رسول الله ﷺ، حتّى

(1) الزرندي، محمّد بن يوسف، نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2004م، ط1، ص230؛ مرتضى، السيد جعفر، المواسم والمراسم، منظّمة الإعلام الإسلامي، طهران، 1408هـ/ق/1987م، لا.ط، ص84؛ المقرئزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1418هـ، ط1، ج1، ص490.



جاء أصحاب المجاميع الحديثية فوجدوها منتشرة ومعمولاً بها فدوّنوها في مجاميعهم.

وأما بقية الأمور فقد اعترف غير واحد من علماء أهل السنة، فضلاً عن غيرهم، بأنها موضوعة في مقابل الشيعة⁽¹⁾، ومنهم ابن تيمية⁽²⁾.

وقد ورد في زيارة عاشوراء: «وهذا يوم فرحت به آل زياد وآل مروان بقتلهم الحسين صلوات الله عليه»⁽³⁾، وصريحها نسبة الفرح إليهم، وظاهرها أنه مُحدث من قبلهم.

الصورة الثالثة: أخذت طابع الحكم الشرعي بحرمة إقامة مجالس العزاء والمآتم بشكل عام، وعلى الإمام الحسين عليه السلام بشكل خاص. واستدلوا على ذلك بأمور عدة:

أولاً: إنها من البدع المحدثّة التي لم يشرّعها الله ولا رسوله، ولا عُرفت عن أحد من السلف في القرون الثلاثة الأولى، وذلك مع وجود المقتضي وانعدام المانع من إقامتها، فلمّا لم تصدر عنهم عِلْمٌ أنّها ممّا لم يُشرّع ودخلت في البدع المحرّمة⁽⁴⁾.

(1) الزرندي، نظم درر السمطين، مصدر سابق، ص 228-230؛ العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا، ط، ج 11، ص 118؛ وراجع: السيد جعفر، المواسم والمراسم، مصدر سابق، ص 84-85.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، 1419هـ/ق 1999م، ط 7، ص 301.

(3) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، مصباح المتبجّد وسلاح المتعبّد، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان - بيروت، 1411هـ - 1991م، ط 1، ص 775.

(4) ابن حجر، الصواعق المحرقة، مصدر سابق، ص 109؛ الزرندي، نظم درر السمطين، مصدر سابق، ص 228-230.

قال ابن تيمية: «وَأَمَّا اتِّخَاذُ أَمْثَالِ أَيَّامِ الْمَصَائِبِ مَأْتَمًا فَلَيْسَ هَذَا مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ هُوَ إِلَى دِينِ الْجَاهِلِيَّةِ أَقْرَبُ»⁽¹⁾.

والعجيب منهم أَنَّهُ كَيْفَ لَا يُتَّخَذُ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمَ مَأْتَمٍ وَيَوْمَ مَصِيبَةٍ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَمْ يَكْفِهِمْ قَتْلُ ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ الْفَجِيعَةِ. وَأَمَّا دَعْوَى أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ، فَهِيَ بَلَا دَلِيلٍ، وَإِنَّمَا الْمَعْرُوفُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَبْكُونَ وَيَنُوحُونَ عَلَى الْقَتْلِ وَالشَّهْدَاءِ، وَلَمْ يَرِدْ مَنَعٌ، فَهُوَ إِمْضَاءٌ، بَلْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِالْبُكَاءِ وَالنِّياحَةِ عَلَى حَمْزَةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ رَجُوعِهِمْ مِنْ أُحُدٍ⁽²⁾. وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ رَوَايَتُهُمْ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهَا الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أُصِيبَ بِمَصِيبَةٍ فَذَكَرَ مَصِيبَتَهُ، فَأَحْدَثَ لَهَا اسْتِرْجَاعًا وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهَا يَوْمَ أُصِيبَ»⁽³⁾.

وهذا صريح في استحباب الاسترجاع عند تذکر المصيبة مهما تقادم عهدها، وأَيَّ مصيبة أعظم من مصاب المسلمين بالإمام الحسين ﷺ! صحيح أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَعْظَمَ مِنَ الْحُسَيْنِ ﷺ، إِلَّا أَنَّ خُصُوصِيَّةَ عَاشُورَاءَ وَمَقْتَلِ الْحُسَيْنِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ تَضْفِي عَلَى عَاشُورَاءَ نَوْعًا

(1) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، مصدر سابق، ص 299-300.

(2) الصدوق، الشيخ محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1405 هـ - 1363 ش، لا ط، ص 73.

(3) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، مصدر سابق، ج 1، ص 510.



خاصّاً من الحزن والتفجّع، ونحن نحزن لفَقْد رسول الله ﷺ، بل نحزن لفَقْد كلّ عظيم وكلّ عزيز، لكن لا شكّ في وجود التفاوت بحسب فظاعة الموقع والحادثة.

وسنفرد فصلاً كاملاً خاصّاً بالبحث عن إقامة المآتم وحكمها. أمّا هنا، فنشير إلى أنّ القضية ليست ناشئة من الحرص على صيانة الشريعة من البدع والتحريف، وإنّما الحقّ أنّهم انطلقوا في الأصل من حالة الحقد على عاشوراء، والتزام الخطّ السياسيّ المعاديّ لأئمة أهل البيت (عليهم السلام).

ثانياً: استدلّوا على حرمة إقامة المآتم على الإمام الحسين وأهل البيت (عليهم السلام) بأنّ التفجّع والتحرّز بهذا الشكل الذي يُقام فعلاً فيه غلوّ فهم، والغلوّ مذموم، وقد ذمّ الغلاة على ألسنة أهل البيت (عليهم السلام) أنفسهم.

وهو -كما ترى- مبنيّ على أنّ ذلك غلوّ، ولكنّ ما يأتي الإشارة إليه من الأدلّة على جواز ذلك، بل استحبابه ينفي كونه من الغلوّ، وقد قدّمنا أنّ تخصيص عاشوراء وتمييزها من غيرها من مناسبات الحزن والتفجّع بدرجة زائدة لم ينشأ من تفضيل الإمام الحسين (عليه السلام) على أبيه وجده -كما يتوهّم بعض- وإنّما هو ناشئ من الحالة المأساويّة الخاصّة التي تعرّض لها عترة النبي ﷺ في هذا اليوم، ولأجل تخليد هذه الذكرى وتعميقها في الوجدان؛ الأمر الذي يدخل في الجانب التربويّ والإعداديّ وفي تعبئة النفوس في سبيل إزالة أسباب الانحراف الذي أوجد هذه المأساة، وهو أمر طبيعيّ في نفسه عمل أهل البيت (عليهم السلام) أنفسهم على تكريسه. ونحن لا

نتوقع ممّن يتعاطف مع المجرمين والجناة أن يتأثر بالمأساة، وأن يتحسّس وقعها، وأن يرضى بإحياء تلك الذكرى، بل المعروف في مثل هذه الحالة العمل على طمسها ومحو آثارها، وهو ما رأيناه بالفعل عبر القرون المتطاولة من التاريخ الإسلامي.

ثالثاً: استدلّوا على حرمتها ببعض الممارسات المحرّمة التي يرافقها، فتحرّم لكونها مقدّمة لذلك.

وهذا النوع من الاستدلال نسمعه منهم في مقام تحريم الأعياد والمواسم الأخرى. والحقّ، أنّ وقوع بعض المحرّمات في بعض المناسبات -إن حصل- لا يوجب تحريم المناسبات، وإنّما يفترض أن يُعمل على تجريدها من ذلك، وهو بالفعل ما يسعى إليه علماؤنا المجاهدون وقادتنا المخلصون، عندما عمدوا إلى تطهير هذه المناسبات من الشوائب المضرة بأصل القضية.

الصورة الرابعة: اتخذت طابع العنف والهجمات الشرسة المسلّحة على مجالس عاشوراء في سبيل إرهاب العوامّ، وبالتالي الحيلولة دون إقامة المآتم في هذا اليوم.

فلقد بدأت المآتم تُقام في يوم عاشوراء في وقت مبكر من قبل أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، حيث حتّوا شيعتهم على إقامتها، وعلى التقيد بالجزن والتألم كلّما عادت الذكرى، وفي ذلك من النصوص ما يملأ الخافقين، لكنّها على ما يبدو كانت تأخذ الطابع الفرديّ أو الجماعيّ المحدود مدّة طويلة؛ نظراً إلى الظروف الصعبة التي كان يمرّ بها الشيعة. وعندما وجد محبّو أهل البيت (عليهم السلام) الفرصة



السانحة لإقامة المآتم الجماعية، وإظهارها، تعرّضت لهجمات دموية، ومورست ضدها الأعمال العنيفة لمنعها بالقوة.

فالتاريخ يحدثنا عن مجالس عاشوراء في أيام معزّ الدولة ابن بويه، الذي وجد الشيعة في عهده فرصة مؤاتية لإقامة المآتم العلنية، فمنذ عام 352هـ على ما يبدو قام الشيعة في محلّة الكرخ التي يقطنونها في بغداد بإحياء ذكرى عاشوراء.

ولم يكن في إقامة هذه الذكرى أي نوع من الاستفزاز على ما يبدو؛ لأنهم كانوا يجزّون مراسمهم في مسجد براثا الذي كانوا يقيمون الصلاة فيه، وهو من المساجد المختصة بهم. مع ذلك تعرّضوا لهجمات دموية من قبل متعصّبين، سالت بسببها الدماء، وقُتل أعداد كبيرة من الشيوخ والأطفال والنساء.

ويحدثنا المؤرّخون عن هذه الأحداث عند رأس كلّ سنة يؤرّخون لأحداثها. وهذه نبذة منها:

1. سنة 353هـ: «عمل ببغداد يوم عاشوراء كعام أول إلى الضحى، فوقع فتنة عظيمة بين السنّة والرافضة، وجرح جماعة، ونهب الناس»⁽¹⁾.

(1) الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، 1407 - 1987م، ط1، ج26، ص13؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج11، ص286؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1385هـ/1965م، لا.ط، ج8، ص558؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحّحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 1412 - 1992م، ط1، ج7، ص19؛ ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، لا.ط، ج3، ص336؛ وراجع: مرتضى، السيد جعفر، صراع الحرية في عصر المفيد، دار السيرة، بيروت، 1994م، ط1، ص24-14.

2. سنة 354هـ: «فيها عمل في يوم عاشوراء المأتم ببغداد كالسنة الماضية، ولم يتحرك لهم السيئة خوفاً من معز الدولة»⁽¹⁾. وهذا ما ذكره ابن تغري بردي، لكن ابن كثير الدمشقي يقول: «في عاشر المحرم عملت الشيعة مأتمهم وبدعتهم على ما تقدم قبل... ثم تسلطت أهل السنة على الروافض، فكبسوا مسجدهم (مسجد برائثا) الذي هو عش الروافض، وقتلوا من كان فيه...»⁽²⁾.
3. سنة 362هـ: «وفيها لم يعمل الرافضة المأتم ببغداد بسبب ما جرى على المسلمين من الروم، وكان معز الدولة بختيار بن بويه بواسط، والحاجب سبكتين ببغداد، وكان سبكتين المذكور يميل إلى السنة، فمنعهم من ذلك!»⁽³⁾.
4. سنة 363هـ: «فيها في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة، وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة وسموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة وبعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب علي. فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير...»⁽⁴⁾.
5. سنة 382هـ: «في عاشر محرمها، أمر الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي، ويُعرف بابن العلم -وكان قد استحوذ على السلطان- أهل الكرخ وباب الطاق من الرافضة بأن لا يفعلوا شيئاً من تلك البدع»⁽⁵⁾.

(1) ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج 3، ص 339.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج 11، ص 288.

(3) ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج 4، ص 65.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج 11، ص 312؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج 8، ص 632.

(5) المصدر نفسه، ص 355؛ المصدر نفسه، ج 9، ص 94؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مصدر سابق، ج 7، ص 168.



6. سنة 393هـ: منع فيها عميد الجيوش من النوح على الحسين في يوم عاشوراء. وكذلك فعل في سنة 401هـ⁽¹⁾.

7. سنة 402هـ: «أَذِنَ فخر الملك الوزير للروافض أن يعملوا بدعتهم الشنعاء والفضيحة الصلعاء من الانتخاب والنوح والبكاء، وتعليق المسوح، وأن تُغلق الأسواق من الصباح إلى المساء... على الحسين بن عليّ»⁽²⁾.

8. سنة 406هـ: «وقع في يوم الثلاثاء وغرة المحرم فتنة بين العوام... فأرسل فخر الملك الشريف المرتضى وغيره... واستقرّ الأمر على كفهم، وشرط عليهم أن لا يُعلّقوا في عاشوراء مسوحاً، ولا يقيموا نوحاً»⁽³⁾.

وقال ابن تغري بردي: «فيها منع فخر الملك يوم عاشوراء من النواح مخافة الفتنة، وكان الشريف الرضيّ قد توفّي في خامس المحرم فاشتغلوا به»⁽⁴⁾.

هذه نماذج ممّا سجّله لنا بعض المؤرّخين، والذي تركناه أكثر، والذي فاتهم أن يسجّلوه لا يعلمه إلا الله.

وهي تُلقِي الضوء على شدة العنف الذي استعمل لمنع البكاء والنوح على الإمام الحسين (عليه السلام)، ولاقتلاع جذور عاشوراء ومحو

(1) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مصدر سابق، ج 7، ص 220 - 222، 253؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج 9، ص 178؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج 26، ص 255؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 381-396.
(2) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج 11، ص 381.
(3) المصدر نفسه، ج 12، ص 3؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج 9، ص 63؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مصدر سابق، ج 7، ص 276.
(4) ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج 4، ص 329.

صورتها من ذاكرة الشيعة. ولقد دفع أتباع أهل البيت عليه السلام ثمناً غالياً في سبيل الحفاظ على صورة عاشوراء متألقة حية في نفوسهم. ولا نريد أن نقف عند عبارات الحقد والبغضاء التي عمد المؤرّخون إلى تزييل أخبار عاشوراء بها، والتي يمكن أن تدلّ على أكثر من معنى، خاصّة تلك العبارة التي ذيل بها ابن كثير الدمشقيّ خبر إجازة فخر الملك للشيعة بممارسة مراسمهم وعقد مأتم عاشوراء حيث قال: «فلا جزاه الله خيراً، وسوّد الله وجهه يوم الجزاء، إنّه سميع الدعاء»⁽¹⁾.

الشكل الرابع

في هذا الشكل تمّ التركيز على قطع علاقة الناس بعاشوراء الإمام الحسين عليه السلام من خلال قطع علاقتهم وارتباطهم بالإمام الحسين عليه السلام نفسه، وبكربلاء باعتبارها المدفن وساحة المعركة والمأساة الفجيعة، وفي هذا المجال نتعرّض لأمرين:

الأول: منع الناس من زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ باعتبار أنّ الارتباط بالقبر والتردّد لزيارته من الأصقاع البعيدة، يترك أثراً في النفس ويثير العاطفة الجياشة ويحيي حالة المودّة والارتباط وينمّيها، وهو ما لا يريد أئمة الجور حصوله، ولا شكّ في أنّ الناس كانوا لا يجرؤون على زيارة كربلاء علناً في زمان بني أميّة، ولكن لم تنقطع الزيارة بحذر، حتّى منذ الأيام الأولى، فقصة زيارة جابر بن

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج 11، ص 397.



عبد الله الأنصاريّ للإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين معروفة، وكذلك وصول الإمام زين العابدين عليه السلام في الأثناء، يقول عطية العوفي بعد أن يسوّق قصّة الزيارة:

فبينما نحن كذلك وإذا بسواد قد طلع من الشام، فقلت: يا جابر هذا سواد قد طلع من ناحية الشام، فقال جابر لعبده: «انطلق إلى هذا السواد وآتنا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد، فارجع إلينا لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين فأنت حرّ لوجه الله»⁽¹⁾.

واستمرّ هذا النحو من الحذر والتخوّف حتّى كان زمن المتوكّل العبّاسيّ الذي فرض أشدّ القيود على تلك الزيارة، ونكّل أشدّ التنكيل بمن تراوده نفسه ويدفعه شوقه وحبّه إلى زيارة كربلاء⁽²⁾.

الثاني: هدم القبر الشريف وما بُني عليه من قِباب وأبنية، في محاولة أخرى لمحو الأثر وقطع الرابطة الوثيقة بين الناس وبين الإمام الحسين عليه السلام، هذه الرابطة المقدّسة التي عمّقها كربلاء. وقد نقل لنا التاريخ حوادث هدم القبر الشريف وما بُني عليه من قبة أو بناء، كان أهمّها:

1. أوّل حادثة هدم نُقلت لنا كانت عندما أمرَ هارون الرشيد الخليفة العبّاسيّ بتخريب القبر وقطع السدرة التي كانت عنده،

(1) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، حقّقه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لا، ط، لا، ط، ج، 4، ص: 47؛ معروف الحسنيّ، السيد هاشم، سيرة الأنمة الاثني عشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لا، ط، ج، 2، ص: 132.

(2) الخليّ، جعفر، موسوعة العتبات المقدّسة، مؤسّسة الأعلى، بيروت، 1987م، ط، 2، ج، 8، ص: 258؛ السيد الأمين، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج، 1، ص: 628.

وكرب موضع القبر الشريف، وحرث الأرض المحيطة، وذلك لإضاعة أثره⁽¹⁾.

لكنّ الأيَّام أثبتت أنّ ذكر الإمام الحسين عليه السلام لا يمحوه من القلوب مثل هذه الأعمال، واستمرّ وجود هذا الضريح علماً شامخاً.

2. الجريمة الثانية التي ارتكبت في حقّ قبر الإمام الحسين عليه السلام كانت جريمة المتوكّل العبّاسيّ، الذي أمر سنة 236هـ بهدم القبر الشريف والقبّة التي كانت قد بُنيت عليه، فهدمه وما حوله من المنازل والدور، وحرّث وبذّر وسقى موضع القبر لمحو أثره⁽²⁾. وقيل: إنّها المرّة الثانية حيث كانت الأولى سنة 232هـ. أعاد المتوكّل حرّث القبر مرّة ثانية عام 247هـ، ونكّل بالطالبيّين والزوّار على أثر ذلك⁽³⁾.

4. أخيراً هاجم الوهّابيّون كربلاء في 18 ذي الحجة عام 1216هـ، وقتلوا من أهلها ما بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف، ونهبوا البلدة والحضرة الشريفة، وهدموا القبر الشريف، واقتلعوا الشبّاك الذي عليه، وفعلوا الأفاعيل الكثيرة، وكان ذلك بقيادة سعود بن عبد العزيز بن محمّد بن مسعود النجدي⁽⁴⁾.

(1) السيد الأمين، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج 1، ص 627؛ الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة، مصدر سابق، ج 8، ص 257.

(2) المصدر نفسه، ص 628؛ المصدر نفسه، ج 8، ص 258؛ الطبري، محمد بن جرير، محمّد، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لا، ط، ج 7، ص 365.

(3) راجع المصادر المتقدّمة.

(4) السيد الأمين، أعيان الشيعة، المصدر نفسه، ج 1، ص 629؛ الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة، المصدر نفسه، ج 8، ص 270-271.



وفي العصر الحاضر، لا زالت تمارس الضغوط على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، لكنها أخذت شكلاً آخر يهدف إلى تفرغها من محتواها وتحويلها إلى طقس فارغ خالٍ عن أي مضمون، وذلك بعد أن عجز الجميع عن قطع الرابطة الوثيقة بين الناس وبين كربلاء.

إقامة المآتم من المنظار الشرعيّ

لقد جرت سيرة العقلاء منذ القدم على بكاء قتلاهم وموتاهم، واستمرت هذه السيرة دون انقطاع حتى زمان الشريعة المطهرة. وليس هذا مورد تشكيك من أحد، إلا أنّ البكاء وإظهار الحزن والتفجع، أو ما يُسمّى بإقامة المآتم له مراتب عديدة، وهو أمر ندركه بسهولة بين الناس.

فتارةً يقتصر المفجوع بفقد عزيز له على إطلاق العنان لدموعه، وأخرى يتجاوز ذلك إلى حدّ العويل، وثالثة يمارس بعض الأعمال الأخرى إلى جانب ذلك؛ كاللطم وخدش الوجه وشق الثوب، وأمثال ذلك.

وتختلف المراتب بحسب الزمان أيضاً، فقد تصدر عن المفجوع هذه الأعمال عند الصدمة ونزول المصيبة، ثمّ يسلو ويهون عليه الأمر بعد ذلك، فيتألم عند الذكرى دون أن يظهر شيئاً من كوامن ذلك الألم، ودون أن يخرج عن حالته الطبيعية. بينما تجد بعض المصائب وبعض المفجوعين يجدّ حزناً وبكاءً كلّما تذكر المصاب، وكلّما عادت الذكرى، وكأنّها غصة طرية حصلت هذه الساعة.

ولا شكَّ في أنَّ الحالة المأساوية تضفي على المصاب لوعة خاصة، وتترك في القلب جرحاً قد لا يلتئم. ثمَّ إنَّ مكانة المفقود ومنزلته أيضاً ممَّا لهما مدخلة في عظم المصاب.

ولو رجعنا إلى التاريخ، نجد أنَّ يعقوب النبي ﷺ حزن على فَقْدِ يوسف حتَّى عَمِيَ، يقول -تعالى- في وصفه: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾⁽¹⁾. وحكى -تعالى- قول أولاده له في ذلك: ﴿تَفْتَوُا تَذَكَّرْ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾⁽²⁾.

وقد سُئِلَ الإمام زين العابدين ﷺ عن شدة بكائه على أبيه: أما أن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقلَّ؟! فقال له: «ويحك، إنَّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ كان نبياً ابن نبي، كان له اثنا عشر ابناً، فغيب الله -سبحانه- واحداً منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حيٌّ في دار الدنيا، وأنا فقدت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقلَّ بكائي!»⁽³⁾. وكان ﷺ قد بكى على أبيه أربعين سنة⁽⁴⁾.

(1) سورة يوسف، الآية 84.

(2) السورة نفسها، الآية 85.

(3) ابن طاووس، السيد علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1993م، ط1، ص80.

(4) ابن قولويه، جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، إيران - قم، مؤسسة نشر الفقاهة، 1417هـ، ط1، ص213.



ولقد بكى رسول الله ﷺ مرّات عدّة على الحسين عليه السلام قبل عاشوراء، وبكى أمير المؤمنين عليه السلام عليه عندما مرّ بكريلاء⁽¹⁾.

ويكفيها دليلاً على رجحان إقامة المآتم على الشهداء، فعِلَ رسول الله ﷺ، وذلك بعد رجوعه من أُحد، حيث دَفَنَ ﷺ والمسلمون معه شهداءهم. فمرَّ ﷺ بدور بني الأشهل وبني ظفر، فسمع بكاء النوائح على قتلاهنّ، فترقرقت عينا رسول الله ﷺ وبكى، ثم قال: «لكنّ حمزة لا بواكي له اليوم».

فلما سمعها سعد بن معاذ وأُسَيد بن خضير قالوا: لا تبكين امرأة حميمها حتّى تأتي فاطمة عليها السلام فتسعدّها"⁽²⁾.

وقد اعترض معترض على الإمام الصادق عليه السلام فقال له: «أصلحك الله، أُنّاح في دارك؟ (وذلك بعد فقده إسماعيل)، فقال: «إنّ رسول الله ﷺ قال: لكنّ حمزة لا بواكي له»⁽³⁾.

ونحن هنا لا نحتاج إلى دليل يدلّ على جواز النوح والبكاء وإظهار الحزن، فإنّ الأصل هو الإباحة، ومدّعي الحرمة عليه أن يُتحفنا بالدليل.

(1) راجع: الأميني، الشيخ عبد الحسين، سيرتنا وسنّتنا، لان، لام، 1412 هـ/ق 1992 م، ط2، الذي جمع نصوص الباب.
(2) الطبرسي، الشيخ الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، إيران - قم، 1417 هـ، ط1، ج1، ص183.
(3) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، مصدر سابق، ص73.

وقوله -تعالى- في وصف الصابرين أنهم: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾⁽¹⁾، لا ينافي البكاء والتحزن وإقامة المآتم؛ لأنَّ الخصم يتوهم التعارض بينهما، فيزعم أنَّ أيَّ فعل غير الاسترجاع غير جائز أو غير ممدوح، مع أنَّ الآية الكريمة تتحدَّث عن الصابرين في مقابل الجازعين الذين تنسبهم المصيبة ذكر الله، وتخرجهم عن طورهم الطبيعي، فيكفرون أو يعترضون على قضاء الله.

أمَّا المآتم والنياحات التي لا تُنافي الاعتراف بالعبودية لله والرضى بقضائه، والتي ترافق الاسترجاع، إنَّ لم تكن هي من مصاديقه فلا تنفيها الآية الشريفة.

والحقيقة، إنَّ اعتراضاتهم المتكررة على مآتم عاشوراء وغيرها ممَّا يقيمه الشيعة على أئمتهم لها مغزى أعمق، فهم يعترضون على خصوص هذه المآتم ذات الطابع السياسي، هذه المآتم التي تعيد إلى الأذهان شريط الأحداث المؤلمة لعاشوراء وغيرها من المآسي التي تعرَّض لها أهل البيت عليه السلام، وتحيي في النفوس المواقف الصلبة النابعة من روح الشريعة وجوهر الإسلام، هذا الأمر بالذات هو الذي يثير حفيظتهم، وإنَّ كانوا يطرحونه مُقنَّعاً بالشبهات والإشكالات.

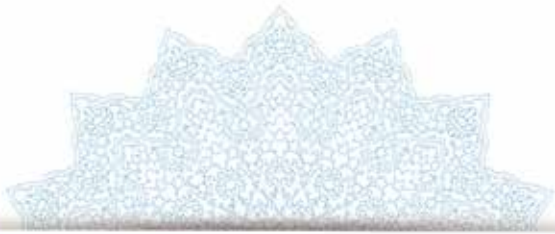
(1) سورة البقرة، الآية 156.

يُحكى أَنَّ الحاكم العسكريّ البريطانيّ عندما دخل العراق، سمع
أذاناً يرتفع من إحدى المآذن، فسأل مرافقيه عن ذلك، ف قيل له إِنَّه
الأذان، وإنَّه يُكرَّر مرَّات عدَّة يوميّاً، فسأل: هل يضرُّ ذلك بمصالح
بريطانيا العظمى؟! ف قيل له: كلاً، فقال: إذاً، دعوهم يؤدِّنون.

فلو كانت هذه المجالس والمآتم لمجرّد النياحة الخالية من أيّ
مدلول آخر، والبعيدة عن أيّ تأثير سياسيّ، لشجّعوا عليها وتركوا
الناس يمارسونها، لكنّ الأمر ليس كذلك.

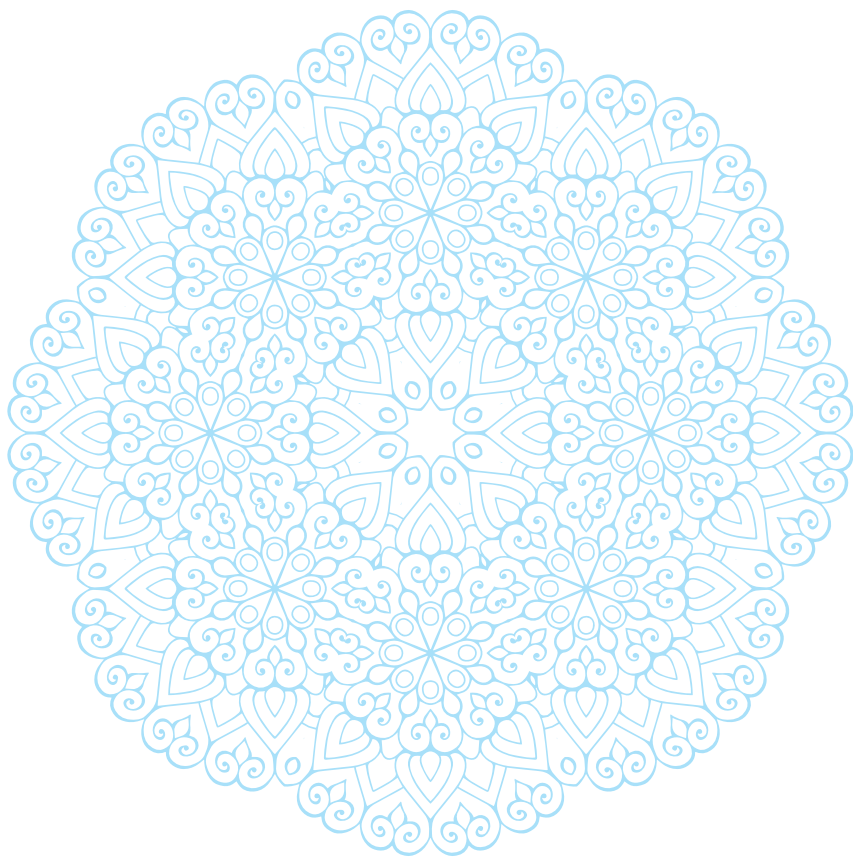


الفصل الرابع



ولاية العهد أهداف المأمون وحنكة الإمام الرضا عليه السلام





أهم ملامح عصر المأمون

مرّت سلطة المأمون العبّاسيّ بظروف سياسيّة وعسكريّة مليئة بالاضطرابات والتحدّيات والنزاعات، وقد فرضت عليه اتّخاذ قرارات استثنائية لتثبيت حاكميّته وسلطانه، ومن أهمّ ملامح عصر المأمون ما يلي:

أولاً: الصراع الدمويّ على السلطة مع أخيه الأمين، وقد أقدم المأمون على قتل الأمين، وأدّى ذلك إلى انشقاق العبّاسيّين ونقمة الكثير منهم على المأمون، بسبب الطريقة التي حسم فيها نزاعه مع أخيه؛ ولأنّه باعتقادهم لا يُمثّل العنصر العربيّ العبّاسيّ كما يُمثّله الأمين.

ثانياً: تصاعد ثورات العلويّين (زيديّين وحسنيّين واثنى عشريّين)، حيث سجّل في تلك الفترة انتقال هذه الثورات من مصرٍ إلى آخر، (مكّة، والمدينة، والكوفة، وواسط، واليمن، والمدائن، وغيرها من الأمصار)، وقد أنهكت بعض هذه الثورات السلطة العبّاسيّة، وبلغت خسائرها مئات الآلاف من القتلى.

ثالثاً: تزايد نقمة الناس على العبّاسيّين نتيجة سياسة الظلم والاضطهاد والقتل والترهيب، والتي كانت تُمارَس على مستوى واسع في مختلف أنحاء البلاد.



رابعاً: انغماس العباسيين في شتى مظاهر الفساد واللهو وممارسة الفواحش.

هذه الأمور وغيرها طبعت عصر المأمون بطابع الاضطراب، وجعلت سلطان بني العباس على حافة الهاوية وفي مهبّ الريح، فكان المأمون بحاجة إلى اعتماد سياسات جديدة، يواجه بها المخاطر والتهديدات، ويثبت بها دعائم سلطته.

ولا شكّ في أنّ الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام كان يتمتع بمكانة خاصّة عند العلويين، سواء أكانوا ممّن يؤمنون بإمامته (الاثنا عشرية) أم من غيرهم من الفرق كالزيدية؛ وبناءً عليه، فإنّ التقرب منه كان سيؤثّر بشكل مباشر في إخماد ثورات العلويين، ولو بشكل مؤقت، ريثما يتمكن من ترتيب أوضاعه، وبناء سلطته، واستعادة قدراته العسكرية.

وبناءً عليه، فقد لجأ المأمون لاستمالة الإمام الرضا عليه السلام، وهو يعرف تماماً أنّه لا يمكن استمالة الإمام الرضا عليه السلام بشيء من أمور الدنيا والمناصب الثانوية؛ لأنّه صاحب مشروع الإمامة، ولأنّه الإمام المفترض الطاعة، وعليه فقد رفع سقف الإغراء إلى الحدّ الأقصى الذي يحقق من خلاله أحد هدفين:

1 - إمّا استمالته واستمالة أنصاره وشيعته، وبالتالي تحقيق الغرض المنشود.

2 - أو التدرّع برفضه للقضاء عليه، وإزاحة أكبر مكان من الخطر التي تهدّده.

وهذا يفسّر تقديم المأمون لولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام ،
والحال أنّه كان قد ارتكب أبشع الجرائم، واعتمد القتل والتنكيل
وسيلةً من أجل الوصول إلى السلطة، وبالتالي فإنّه لا يمكن تفسير
ذلك إلّا بناءً على أحد هذين الاحتمالين.

وقد أثبتت الأحداث أنّ المأمون لم يكن جاداً في نقل الخلافة
عندما عرضها على الإمام عليه السلام ، كما لم يكن جاداً في عقد ولاية
العهد له، وإنّما هي خدعة سياسيّة مدروسة بدقّة ومحبوكة
بإتقان، وقد فهم الإمام الرضا عليه السلام ذلك تماماً، وتعامل معها
بطريقة مدروسة أيضاً، كما سنشير في طيّات هذا الموضوع.

بالتالي، فإنّ ما ورد في رسالة المأمون جاء في سياق سياسيّ ليس
إلّا، ويأتي التهديد بالقتل في هذا السياق أيضاً، ليكشف أنّ ثمة
غاية في نفس المأمون كان يريد تحقيقها، ولو على حساب سفك
دماء الإمام الرضا عليه السلام .

دوافع المأمون لعقد ولاية العهد للإمام عليه السلام

لا شكّ في أنّ ثمة مجموعة من الدوافع والأهداف التي أراد
المأمون تحقيقها من وراء منح الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد،
فالظاهر من خلال تتبّع السيرة والتاريخ أنّ المأمون أراد أن يحقق
جملة من الأهداف في آنٍ معاً، ومنها:

الأوّل: وضع الإمام عليه السلام تحت رقابته المباشرة، والحدّ من
حرية حركته، ومنعه من التواصل مع أنصاره وشيعته خارج إطار
الرقابة المباشرة.



الثاني: تشويه صورة الإمام عليه السلام، وإسقاط هالة القدسيّة التي كان يتمتع بها، من خلال إظهاره منغمساً في مواقع السلطة وساعياً إليها.

الثالث: استغلال الموقف من أجل أن يأخذ من الإمام الرضا عليه السلام إقراراً واعترافاً بشرعيّة حكم بني العباس، حيث إنّ قبول ولاية العهد منهم يتفرّع على شرعيّة خلافتهم، كما يفهم الناس على الأقلّ.

الرابع: أراد التلويح لبني العباس الذين قاطعوه بأنّ خلافة العباسيّين في خطر الانتقال إلى غيرهم؛ ممّا يدفعهم إلى القبول به للحفاظ على امتيازاتهم، وهذا يُفهم من طبيعة إجابته لهم عند اعتراضهم على ولاية العهد، حيث برّر لهم خطوته تلك بأنّها تهدف إلى استعادة مجدهم.

أسباب رفض الإمام عليه السلام لولاية العهد

وعلى ضوء الأهداف المذكورة، يمكن أن نفهم أسباب رفض الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد من جهة، كما يمكن أن نفهم سبب وضعه للشروط مقابل موافقته من جهة أخرى.

أمّا الرفض فقد جاء في سياقٍ طبيعيّ، ليس لأنّ الإمام عليه السلام لا يسعى لإمساك الأمور وإقامة الدولة لو استطاع ذلك، بل لأنّه لا يمكن لمغتصب السلطة ولمن لا يمتلك شرعيّة الحكم أن يمنح السلطة لغيره، بل هي تؤخذ بالحقّ الذي أعطاه الله -عزّ

وجلّ-، وقبولها من المأمون سيكون إقراراً بشرعية حكمه، وهو يعلم أنّه لن يعيش بعد المأمون، كما صرّح في كتابته على وثيقة العهد وفي أكثر من مناسبة، فالموضوع منتفٍ والرفض متعيّن؛ وأمّا تهديد المأمون للإمام الرضا عليه السلام فقد كان أمراً طبيعياً؛ باعتبار أنّ المأمون لن يفهم رفض الإمام لولاية العهد باعتباره زهداً بالدنيا، وإنّما سيكون الرفض من باب عدم اعتراف الإمام عليه السلام بهم ولا بمشروعية سلطانهم، وهذا كان سيُفشل مخطّط المأمون.

وقد وضع الإمام الرضا عليه السلام مجموعة من الشروط التي تهدف إلى تفرغ ولاية العهد من أهدافها بطريقة ذكية، حيث إنّ عليه السلام اشترط عليه أن لا يأمر، ولا ينهى، ولا يولي، ولا يعزل، ولا يقضي، ولا يفتي، ولا يغيّر، ولا يبدّل. والخلاصة، أنّه لا يقوم بشيء ممّا يقوم به ولادة العهد وأصحاب الدولة آنذاك. هذه الشروط أفشلت بعض أهداف المأمون، والإجراءات اللاحقة التي لجأ إليها الإمام عليه السلام أفشلت بقيّة أهدافه.

تبيّن ممّا تقدّم أنّ الإمام عليه السلام إنّما رفض الخلافة وولاية العهد لأسباب عدّة، منها:

أولاً: لم يكن الإمام عليه السلام يريد منح شرعية لحكم المأمون ولا لحكومة العباسيين، فهذا هو هدف المأمون، ولو تحقّق ذلك الهدف لوضع تاريخ الخلاف والمعارضة كلّ في إطار التنافس والتحاسد، بدلاً من الخلاف المبدئيّ حول شرعية الولاية والخلافة.



ثانياً: الخلافة هي حقّ للإمام عليه السلام بالوصيّة من صاحب الشريعة، وبالتالي لا يصحّ إيهام الناس بأنّها جاءت بالوراثة من مغتصبها وممن لا يملكها، فحتّى لو كان المأمون جاداً بإعطاء ولاية العهد فلا يمكن للإمام عليه السلام قبولها ابتداءً، لولا التهديد والعنوان الثانويّ اللاحق.

ثالثاً: كان الإمام عليه السلام يدرك تماماً مقصد المأمون وهدفه، ويعلم بأنّها مكيدة وخدعة، فلم يرد أن يملكه من ذلك. وقد أورد الإمام الرضا عليه السلام جملة إشارات في كلامه الذي دونه على وثيقة العهد تؤيّد ذلك.

وبناءً عليه، فإنّ الإمام عليه السلام لم يكن يرفض القيام بالأمر فيما لو تهيأت الظروف، فالقيام بالأمر وظيفته شرعيّة لا يقصّر في أدائها، والزهد لا يتناقض مع ولاية الأمر، فالإمام عليه السلام كان أزهد الناس، ومع ذلك قام بالأمر، وحكّم، وقاتل، ووَلّى، ونظّم شؤون الدولة، ولم يتخلّ عن زهده، بل كان وهو حاكم أزهد منه وهو خارج إطار الحكومة.

المأمون على الرغم من دهائه وذكائه، لم يتمكّن من تحقيق مآربه وأهدافه، فهو لم يتمكّن من إخضاع الإمام عليه السلام، ولم يتمكّن من تشويه صورته النقيّة. صحيح أنّ بعض السدّج من الشيعة كان يعترض على الإمام عليه السلام قبوله للعهد، ولكنّه كان عليه السلام يبيّن لهم الأسباب بحسب مقتضيات أحوالهم وقدراتهم على فهم الأمور، وبقدر ما كان الوضع يتيح له ذلك.

ولم يتمكن المأمون -أيضاً- من إخضاع العلويين، ولا من الحدّ من انتشار التشيع، بل إنّ وجود الإمام عليه السلام في خراسان فتح باباً جديداً لترسيخ دعائم التشيع، فجاءت بعض المناظرات لتبيّن واقع علم الإمام عليه السلام، وساهمت بعض الأحداث الأخرى في كشف عورات الحكّام العبّاسيّين أكثر ممّا كانت عليه.

أساليب الإمام عليه السلام في إحباط مخطّط المأمون

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ فترة بقاء الإمام الرضا عليه السلام في خراسان كانت قصيرة جداً، فهي -بحسب الاختلاف في تاريخ شهادته- لا تتجاوز سنة وبضعة أشهر قليلة، وربّما كانت دون ذلك. هذه الفترة تضمّنت جملة إجراءات وأساليب مكّنت الإمام عليه السلام من قلب السحر على الساحر بشكلٍ هادئ، إلّا أنّ المأمون لم يتحمّل ذلك، فعمد إلى دسّ السمّ للإمام عليه السلام وقتله.

وعلى سبيل المثال، فإنّ الإمام عليه السلام استفاد من صلاة العيد كأسلوب لإحباط مخطّطات المأمون، الذي استجاب لاقتراح يقضي بإخراج الإمام الرضا عليه السلام إلى صلاة العيد، فاعتذر عليه السلام مذكراً بشروط العهد، ولكنّ المأمون أصرّ، فشرط الرضا عليه السلام أن يتركه يخرج كما كان رسول الله ﷺ يخرج إلى العيد، ولم يدرك المأمون أبعد هذا الشرط إلّا بعد أن وصله الخبر بأنّ الإمام عليه السلام خرج حافي القدمين وبعمامة بيضاء على صورة عمامة الرسول ﷺ، وكلّما سار خطوات توقّف مكثراً ومُهَلِّلاً وحامداً، ولم يخرج على هيئة



الملوك، ولا زكَبَ ما كان قد أُعِدَّ له، وعندما رأى القادة والوزراء ذلك، نزلوا عن خيولهم، وتخلَّوا عن أمتهم، وساروا بين يديه، ورأى الناس شيئاً غريباً عنهم عرّفهم بما ينبغي أن يكون عليه حكام العدل وأهل الصلاح، وضجَّ الناس بالبكاء، فأرسل المأمون إليه قبل أن يصل إلى مُصلَى العيد، وطلب منه العودة؛ خوفاً من انقلاب الأمور عليه؛ ومع ذلك فقد كان لهذه الخطوة بالغ الأثر في إعطاء صورة للإسلام وفق رؤية أهل البيت (عليه السلام) مغايرة تماماً لما يحمله هؤلاء. ومن هذه الوسائل ما فعله الإمام الرضا (عليه السلام) في صلاة الاستسقاء وغيرها.

معنى الإمامة في كلمات الإمام الرضا (عليه السلام)

وقد سنحت للإمام (عليه السلام) في تلك الفترة بعض الفرص التي استفاد منها في بيان معاني الإمامة، ولكنَّ الأهمَّ كان الجانب العمليّ أو الأنموذج الخاصّ الذي قدّمه (عليه السلام)، والذي كان له أبلغ الأثر في نفوس الناس من الكلام ومن الاستدلال النظريّ.

الفترة التي عاشها الإمام الرضا (عليه السلام) في خراسان كانت فترة إقامة جبريّة وشبه حصار، ومع ذلك استفاد الإمام (عليه السلام) من الفرص، فقد كان يدخل عليه الناس تحت نظر عيون السلطة، ولكنَّ الإمام (عليه السلام) كان يُظهر لهم منزلته وفضله بأساليب مؤثّرة قد لا يدرك أبعادها عملاء السلطان، وعلى سبيل المثال، فقد كان يدخل عليه بعض الناس رغبةً في الحصول على بعض الدراهم أو

الدنانير التي سُكَّت باسم الرضا عليه السلام ، أو للحصول على بعض ثيابه للتبرُّك بها، وكان الإمام عليه السلام في كثير من الحالات يأمر لهم بما يريدون دونما طلب مخبراً إياهم عن رغباتهم، فكان يدهشهم، ويعمّق محبتهم له عليه السلام ، ويدلّهم على أنّه يمتلك من أبواب المعرفة والعلم ما يأتي من غير الطرق المعروفة، وهذا كلّ ساهم في نشر محبة أهل البيت عليه السلام والتشيع لهم.

يجدر التذكير أيضاً بحادثة تجمع الناس في نيسابور وفيهم آلاف المحدثين، وطلبهم من الإمام عليه السلام أن يحدثهم بحديث عن رسول الله ﷺ، وكان لهذا الموقف أبلغ الأثر في التعريف بأهل البيت عليه السلام ، حيث حدّثهم بحديث السلسلة الذهبية قائلاً: «حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه عن جدّه عن آبائه عليه السلام عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل عليه السلام عن الله - عزّ وجلّ -: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي، فلمّا مرّت الراحلة نادانا: بشروطها، وأنا من شروطها»⁽¹⁾.

والخلاصة، إنّ المأمون لم يتمكّن من تشويه صورة الإمام الرضا عليه السلام ، واستطاع الإمام عليه السلام أن يُظهر منزلته وعلمه وزهده في أشدّ الظروف، وأثبت أحقيّة المذهب.

ومن جملة الأخبار التي تدخل في إطار إظهار المنزلة والعلم للدنّي، ما ورد من أنّ رجلاً خارجياً دخل عليه مخبّأً مدمية مسمومة

(1) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص306: الصدوق، الشيخ محمد بن علي، التوحيد، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، لا، ط، ص25.

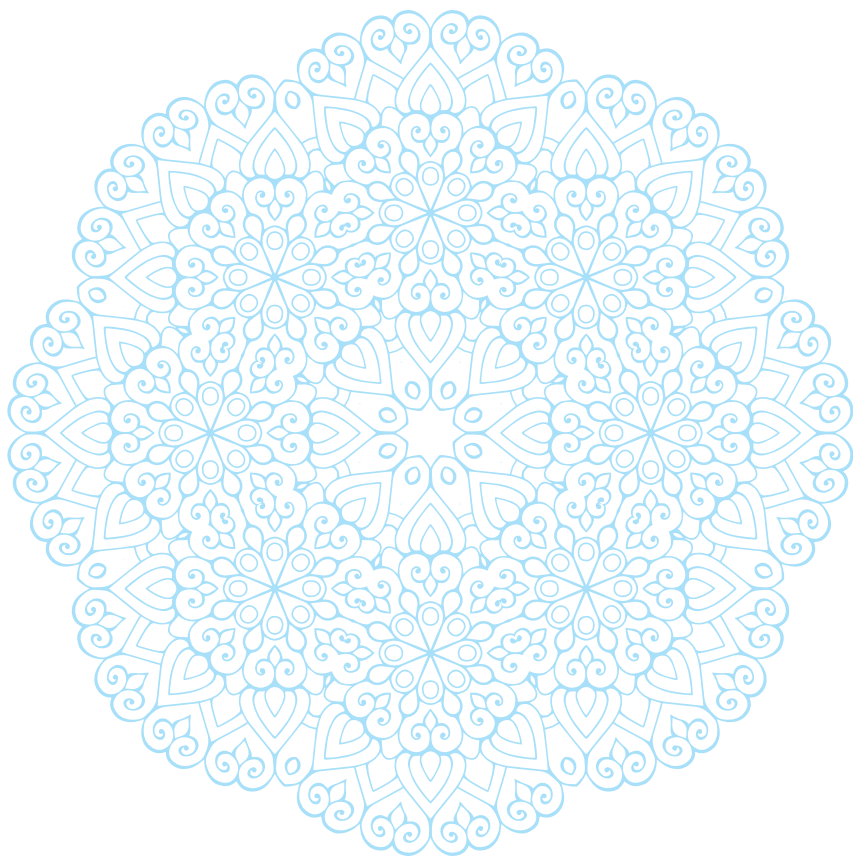
ينوي طعن الإمام عليه السلام بها، وقد بدأ بطرح مسألة عليه، فطلب منه الإمام إخراج المدينة المسمومة قبل الإجابة، فأسقط ما في يده.

وقد أخبر الإمام عليه السلام أهله وخاصته عند خروجه من المدينة أنه لن يعود، وأخبر المأمون أنه مقتول مسموم، وأنه يعرف قاتله ومكان دفنه، وطلب من الفضل بن سهل عدم الخروج إلى الحمام ليلة مقتله، ولكنه لم يمتثل فخرج وقُتل، وأخبر عن مصير يحيى بن جعفر بأنه يُقتل ويُقطع إرباً إرباً، وأمثال ذلك من الأخبار والعلامات التي كان لها دورها في إظهار منزلته وفضله وأحقّيته.



الفصل الخامس

من هم أصحاب رايات الضلال؟



منهجية قراءة علامات الظهور

يهتمّ كثيرٌ من الباحثين في الدراسات العقديّة والإسلاميّة بشكلٍ عامٍّ بدراسة الروايات التي تضمّنت الإخبار عن علاماتٍ خاصّةٍ لظهور الإمام المهديّ (ع). ولهذا البحث جاذبيّة خاصّة؛ باعتبار أنّه يُحدّد علامات الظهور المبارك للإمام المهديّ (ع)، حيث يندفع كثير من الناس إلى قراءة هذه العلامات ومحاولة تطبيقها على حاضرهم ومستقبلهم.

وثمة منهج في التعامل مع النصوص المتضمّنة لعلامات الظهور، برز عند جماعة تعاطوا معها بوصفها مفتاح الأمل والرجاء، لكنهم أهملوا جوهر القضية، وتخلّوا عن الدور المؤثّر والفاعل في الأحداث؛ ممّا يبعث على الانعزال والانزمام أمام الأمر الواقع الذي يواجههم دائماً.

هذا المنهج شكّل ظاهرة، كانت ولا زالت، تدعو إلى السكون والخنوع وإلى ما يُسمّى بالانتظار السلبيّ، والاكتفاء بدراسة العلامات بما تُمثّله من مؤشّرات زمنيّة لعمليّة الظهور. هذه الرؤية تفترض أنّ العمل من أجل إقامة دولة الحقّ والعدالة المرجوّة يبدأ بعد الظهور وتحت راية الإمام الحجّة المنتظر



المباشرة، دون الحاجة إلى تهيئة مقدمات سابقة مفروضة تقع على عاتق أحد من الأمة.

وقد استعان أصحاب هذا المنهج بروايات أُسيء تفسيرها وحُرّف مغزاها، وهي تتحدّث عن وجوب القعود والتزام البيوت، وذلك في إشارة إلى حرمة القتال والمواجهة المسلّحة حتّى قيام القائم.

وإذا درست تلك الروايات بشكلٍ منهجيٍّ صحيح، ولوحظ زمان صدورهما ومكانه والظروف المحيطة به، ظهر جليّاً أنّها كانت تتعرّض لواقع أنّي يرتبط بأحداث وبحركات خاصّة عاصرت الإمام الصادق عليه السلام أو غيره من الأئمّة عليهم السلام، الذين أرادوا تجنب أصحابهم الانخراط فيها والاكْتواء بنارها، والافتتان بها، عندما تُرفع شعارات تبدو أنّها محقّة، إلّا أنّها في الواقع غير شرعيّة وأهدافها غير رساليّة أو غير مقبولة.

ولكنّ النظرة القاصرة إلى هذه النصوص أنتجت مساراً خاصّاً في الانتظار لا ينسجم مع السنن الإلهيّة التي شرّعها المعصومون عليهم السلام، ولا مع الطريقة التي ساروا عليها.

الرايات في عصر الغيبة

وقد دفعت هذه الرؤية كثير من الشيعة إلى اتّهام كلّ راية تُرفع في عصر الغيبة، مهما كانت أهدافها وظروفها وطريقتها، بأنّها راية ضلال.

بينما آيات الضلال في النظرة السليمة هي آيات انحراف لا تعمل في سياق الأهداف الشرعية التي رسمتها الرسالة الإسلامية، وبين معالمها أهل البيت المعصومون عليهم السلام، والراية هنا تعني الحركة المنظمة ذات القيادة المعروفة والمشخصة، وهو صاحب الراية.

وهي آيات تدعو إلى نفسها؛ أي ذات مشروع شخصي، أصحابها طواغيت، كما في النص عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنه ليس من أحد يدعو (إلى أن يخرج الدجال) إلا سيجد من يبايعه، ومن رفع راية ضلال فصاحبها طاغوت»⁽¹⁾.

والطاغوت هو مبالغة في الطغيان، وهو تجاوز الحد، يقول تعالى:- ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾⁽²⁾؛ أي فاض وتجاوز الحدود الطبيعية لمجرأه؛ وعليه، فالطاغوت هو الظالم المتجاوز للحدود التي شرعها الله.

وقد وصف الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة حركة معاوية وفتنته بأنها «رَايَةُ ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا»⁽³⁾، حسبما فهم بعض شراح كلامه.

أما في عصرنا الحاضر، فإن الحروب الظالمة والحركات كلها التي يقودها أصحابها لتحقيق سلطة شخصية أو مآرب نفعية

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 8، ص 297.

(2) سورة الحاقة، الآية 11.

(3) الشريف الرضي، السيد أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي، نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، تحقيق وتصحيح: صبحي الصالح، ل.ن، لبنان - بيروت، 1387 هـ - 1967 م، ط 1، ص 156.

سياسية أو اقتصادية فهي رايات ضلال؛ وذلك انطلاقاً من الفهم الصحيح للانتظار الإيجابي الذي يستلزم التمهيد لقيام دولة الحق، والعمل على إحقاق الحق والعدل، ومقاومة الظلم والانحراف وفق معيار «من رأى سلطاناً جائراً...»⁽¹⁾، فهذه رايات هداية لا ضلال، وهي رايات رفعها رسول الله ﷺ والأنمة المعصومون عليهم السلام من بعده، وهي مستمرة حتى قيام القائم الحجة عليه السلام، ورايات الممتهدين التي قامت وستقوم هي رايات القائم ليس سواها.



(1) الطبري، تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج 4، ص 304.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. المجلسي، العلامة محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403هـ/ق/1983م، ط2.
3. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، 1364هـ.ش، ط3.
4. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، مصباح المتمجد وسلاح المتعبد، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان - بيروت، 1411هـ.ق/1991م، ط1.
5. أحمد بن حنبل، المسند (مسند أحمد)، دار صادر، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط.
6. ابن هشام الحميري، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق وضبط وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر - القاهرة، 1963، لا.ط.
7. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، شرح الشيخ



- محمد عبده، دار النهضة، الناشر: دار الذخائر، قم، إيران، 1412هـ، ط1.
8. قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله، قصص الأنبياء، تحقيق: الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، مؤسسة الهادي، قم، إيران، 1418هـ، ط1.
9. الشيخ الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، 1417هـ، ط1.
10. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن محمد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربية، 1959، ط1.
11. الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدري، طهران، 1365هـش، ط4.
12. ابن طاووس، السيد علي بن موسى، إقبال الأعمال، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، 1414هـق، ط1.
13. الصدوق، الشيخ محمد بن علي، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران - قم، 1417هـق، ط1.
14. المشهدي، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق حسين درگاهي، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، إيران،

- 1407هـ.ق/1366هـ.ش، ط 1.
15. الطبرسي، الشيخ علي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، 1418هـ.ق، ط 1.
16. المفيد، الشيخ محمد بن محمد، الأمالي، تحقيق: حسين الأستاذ ولي، علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1414هـ.ق/1993م، ط 2.
17. الحميري القمي، عبدالله بن جعفر، قرب الاسناد، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، إيران - قم، 1413هـ.ق، ط 1.
18. الصدوق، الشيخ محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلي، الناشر: مؤسسة الأعلي - بيروت - لبنان، 1404هـ.ق/1984م، لا.ط.
19. مرتضى، السيد جعفر، الصحيح من سيرة النبي الأعظم عليه السلام، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، 1426هـ.ق، ط 1.
20. ياسين، الشيخ كاظم، تاريخ خاتم الأنبياء، دار المحجة البيضاء، لبنان - بيروت، 1434هـ.ق/2013م، ط 1.
21. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، لا.ط.
22. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران - قم، 1404هـ.ق، ط 3.



23. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ/1996م، ط1.
24. الميلاني، علي، خلاصة عبقات الأنوار، مؤسسة البعثة، طهران، 1405هـ، لا.ط.
25. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، لا.م، 1415هـ/1995م، لا.ط، ترجمة الإمام علي عليه السلام.
26. قعي، أصغر ناظم زاده، لفصول المائة في حياة أبي الأئمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، منشورات أنوار الهدى، قم، 1411هـ، لا.ط.
27. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، العراق - النجف الأشرف، 1376هـ/1956م، لا.ط.
28. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1415هـ، لا.ط.
29. ابن البطريق، يحيى بن الحسن، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1407هـ، ط1.
30. الطبري، محمد بن جرير، دلائل الامامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران - قم، 1413هـ، ط1.
31. الصدوق، الشيخ محمد بن علي، علل الشرائع، تقديم: السيد

- محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، العراق - النجف
الأشرف، 1385هـ/1966م، لا.ط.
32. الموفق الخوارزمي، الموفق بن أحمد، المناقب، تحقيق:
الشيخ مالك المحمودي - مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام،
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم
المشرفة، إيران - قم، 1414هـ، ط.2.
33. أبي الفتح الكراجكي، العلامة محمد بن علي، التعجب من
أغلاط العامة في مسألة الإمامة، تصحيح وتخريج: فارس حسون
كريم، لان، لا.م، لات، لا.ط.
34. الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير
(تفسير الرازي)، لان، لا.م، لات، ط.3.
35. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة،
قم المقدسة، 1405هـ، لا.ط.
36. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي
المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، لا.م،
1410هـ، ط.2.
37. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق:
مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426هـ/2005م، ط.8.
38. ابن دريد، جمهرة اللّغة، تحقيق ومراجعة: رمزي منير بعلبكي،
دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ط.1.
39. ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر،
تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة



- إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، 1364 هـ، ط 4.
40. البخاريّ، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاريّ، دار الفكر، بيروت، 1401 هـ/ق/1981 م، لا.ط.
41. النيسابوريّ، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، دار الفكر، بيروت، لا.ت، لا.ط.
42. السجستانيّ، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، تحقيق وتعليق: سعيد محمّد اللحام، دار الفكر، لا.م، 1410 هـ/ق/1990 م، ط 1.
43. ابن ماجه، محمّد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، بيروت، 1395 هـ/ق، لا.ط.
44. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1403 هـ/ق/1983 م، ط 2.
45. اليوسفيّ، الشيخ محمّد هادي، مجلّة رسالة الثقلين، مجلّة المجمع العالميّ لأهل البيت، قم، لا.ت، لا.ط، العدد الثاني.
46. الطبريّ، ابن جرير، استشهاد الحسين، تحقيق ودراسة: الدكتور السيّد الجميليّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لا.ت، لا.ط.
47. ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، 1420 هـ/ق، ط 3.
48. مرتضى، السيد جعفر، دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، دار جواد، لا.م، 1414 هـ/ق/1993 م، ط 3.

49. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط.
50. العقّاد، عبّاس، أبو الشهداء الحسين بن عليّ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2006م، ط8.
51. العلايليّ، عبد الله، الإمام الحسين، دار ومكتبة التربية، بيروت، 1986م، ط1.
52. ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، حقّقه ودقّق أصوله وعلّق حواشيه: عليّ شيرّي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، 1408هـ/1988م، ط1.
53. ابن قتيبة الدينوريّ، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، تحقيق ومراجعة: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1418هـ/1997م، لا.ط.
54. اليافعي، عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه: خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلميّة، 1417 - 1997م، ط1.
55. أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين، تقديم وإشراف: كاظم المظفر، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعها - النجف الأشرف، 1385 - 1965م، ط2.
56. ابن حجر، أحمد بن محمّد، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمان بن عبد الله التركيّ وكامل محمّد الخراط، مؤسّسة الرسالة، لبنان، 1417هـ/1997م، لا.ط.
57. اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبيّ، دار صادر،



- بيروت، 1379هـ/ 1960م، لا.ط.
58. الزرنديّ، محمّد بن يوسف، نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، 2004م، ط1.
59. مرتضى، السيد جعفر، المواسم والماراسم، منظّمة الإعلام الإسلاميّ، طهران، 1408هـ/ 1987م، لا.ط.
60. المقرئيّ، أحمد بن عليّ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1418هـ، ط1.
61. العينيّ، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لا.ت، لا.ط.
62. ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، 1419هـ/ 1999م، ط7.
63. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، مصباح المتجّد وسلاح المتعبّد، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان - بيروت، 1411هـ/ 1991م، ط1.
64. الصدوق، الشيخ محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1405هـ/ 1363هـ.ش، لا.ط.
65. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، 1407هـ/ 1987م، ط1.
66. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، الكامل في التاريخ،

- دارصادر، بيروت، 1385هـ/1965م، لا.ط.
67. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 1412هـ/1992م، ط.1.
68. ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، لا.ت، لا.ط.
69. مرتضى، السيد جعفر، صراع الحرية في عصر المفيد، دار السيرة، بيروت، 1994م، ط.1.
70. الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، حققه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لا.ت، لا.ط.
71. معروف الحسني، السيد هاشم، سيرة الأئمة الاثني عشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لا.ت، لا.ط.
72. الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، مؤسسة الأعلي، بيروت، 1987م، ط.2.
73. الطبري، محمد بن جرير، محمد، تاريخ الأمم والملوك(تاريخ الطبري)، مؤسسة الأعلي، بيروت، لا.ت، لا.ط.
74. ابن طاوس، السيد علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، مؤسسة الأعلي، بيروت، 1993م، ط.1.
75. ابن قولويه، جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، إيران - قم، مؤسسة نشر الفقاهة، 1417هـ، ط.1.
76. الأميني، السيد عبد الحسين، سيرتنا وسنتنا، لا.ن، لا.م،

1412هـ.ق/1992م، ط2.

77. الطبرسي، الشيخ الفضل بن الحسن، إعلام الوری بأعلام الهدی، تحقیق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، إيران - قم، 1417هـ.ق، ط1.

78. الرضي، السيد أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي، نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، تحقیق وتصحيح: صبحي الصالح، لان، لبنان - بيروت، 1387هـ.ق/1967م، ط1.



